النفحات العلوية في شرح الأربعين النووية

للإمام العلامة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف
وشيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

فرغه واعتنى به

الدكتور محمد عبد الله أحمد الأزهري
مدرس الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف

الوابل الصيب

النفحات العلوية في شرح الأربعين النووية

ص ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات ١٣٩

رقم الإيداع: ٢٦٧٦٢/ ٢٠٢٣

الترقيم الدولي:

I.S.B.N. 978-977-6802-78-0

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

التصميم الطباعي والإخراج الفني:

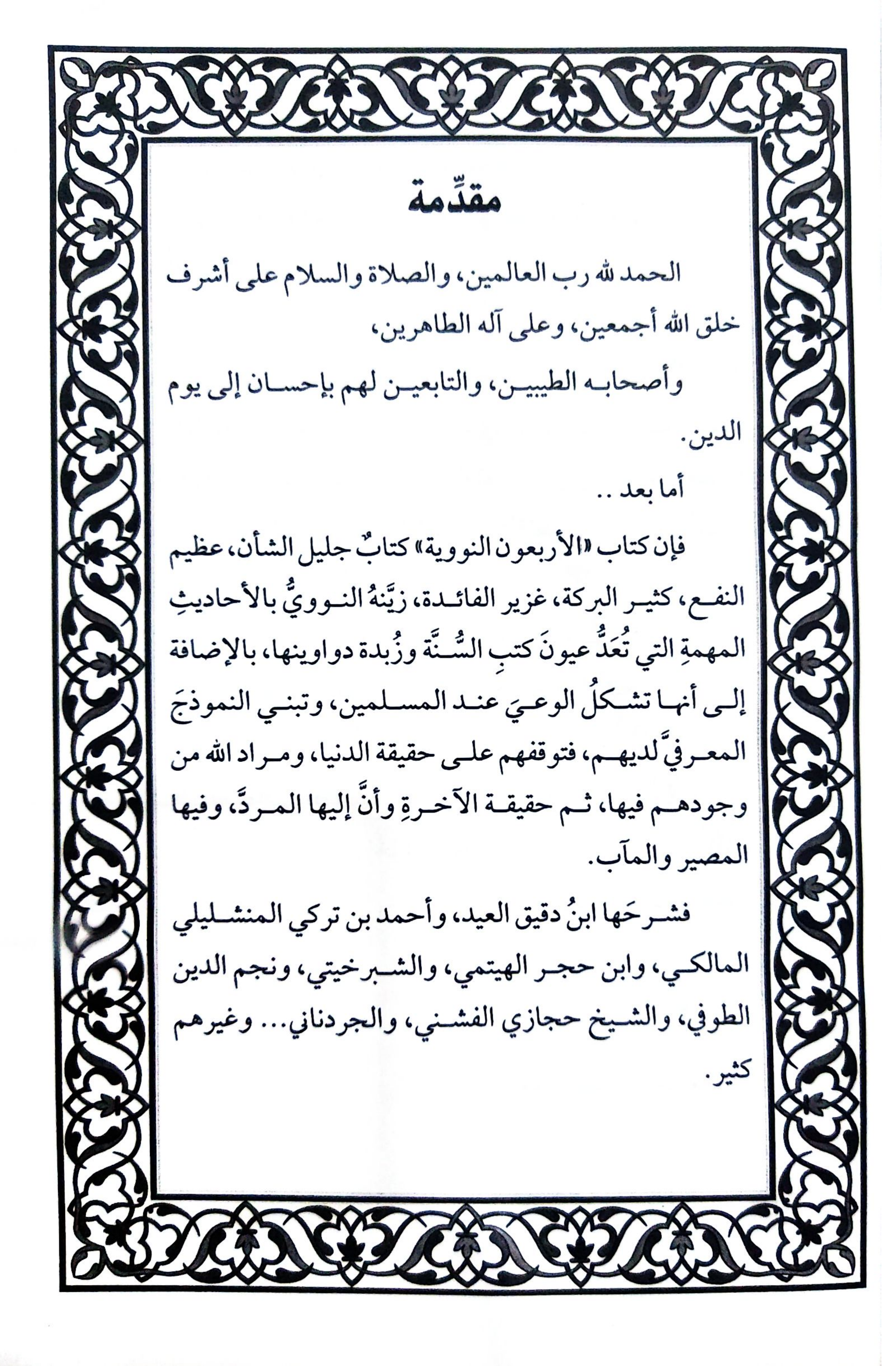
حازم محمد داود



ط١ القاهرة

دار الوابل الصيب

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى آله الطاهرين،

وأصحابه الطيبين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فإن كتاب «الأربعون النووية» كتابٌ جليل الشأن، عظيم النفع، كثير البركة، غزير الفائدة، زيَّنَهُ النوويُّ بالأحاديثِ المهمةِ التي تُعَدُّ عيونَ كتبِ السُّنَّة وزُبدة دواوينها، بالإضافة إلى أنها تشكلُ الوعيَ عند المسلمين، وتبني النموذجَ المعرفيَّ لديهم، فتوقفهم على حقيقة الدنيا، ومراد الله من وجودهم فيها، ثم حقيقة الآخرةِ وأنَّ إليها المردَّ، وفيها المصير والمآب.

فشرحَها ابنُ دقيق العيد، وأحمد بن تركي المنشليلي المالكي، وابن حجر الهيتمي، والشبرخيتي، ونجم الدين الطوفي، والشيخ حجازي الفشني، والجرداني... وغيرهم كثير.

وهـا نحن اليومَ نقدِّم شـرحًا جديدًا معاصـرًا لعالم هو أبـرز علماء القرن، جمـع اللهُ الدينَ في قلبِه والعلـمَ في عقلِه، وهو فضيلة الإمام نور الدين علي جمعة محمد الشافعي الأزهري.

وكان هذا الشـرحُ في صورة حلقاتٍ مسـجلة، فلما استمعت إليها لاحظت أن هذا الشـرحَ سـهلُ العبارةِ واضحُ الإشارة، اقتصرَ علي فك الألفاظ في كثير من المواطـن، إلا أنه كثيـرًا ما يربط النصَ النبويَّ الشـريفَ بالواقـع المعيش، ثم إنه أيضًا سـاق في آخر الكتاب إسنادَه إلي الإمام النووي وتكلم عن أهمية الإسـناد، وذَكَرَ تلقيهِ الفقهَ عن النووي أيضًا بالإسناد، وإذا نظرتَ في تلك الأسانيد وجدتَها مُرَصَّعَةً بأئمةِ الدنيا في كل طبقةٍ.

فشـرفني اللهُ تعالـى بخدمـة هذا الشـرح للأربعيـن النوويـة، فاجتهدتُ في تفريغه، وجمعـه، وضبط بعض نصوصه، وتخريج أحاديثـه تخريجًا يقتصرُ على العزو إلى موضع الحديث فقط.

فأسـألُ اللهَ تعالـى أن ينفـعَ بـه المسـلمين، وأن يجعلـه في ميزان حسـناتي ووالديَّ، وكلِّ مَن شـاركني في إخراجه على هذه الصورة، إنه ولي ذلك ومولاه، واللهُ تعالـى أعلـى وأعلم، وأجلُّ وأكرم، وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه/ محمد عبد الله المالكي الأزهري

مدرس الفقه المقارن بجامعة الأزهر



مقدِّمة الإمام
نور الدين علي جمعة

بسـمِ الله الرحمَن الرحيمِ الحمدُ لله والصلاةُ والسـلامُ على سيِّدنا رسولِ الله وآله وصحبه ومَن وَالَاه وبعدُ،

فلقد مَنَّ الله علينا وعلى العالم أجمع بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم رحمةً للعالمين، وكما حَفِظ كتابه مـن التحريفِ حفِظ السُّـنَّة، وأقـام لها العلماء عـبر العصور يَصُدُّون عنها تأويل المُحرِّفين والمُدمِّرين حتى يومنا هذا.

ومِـن أبـدع مـا أُلِّف في هـذا المقام مـا تركه لنـا الإمام الفاضـل العالـم أبو زكريا يحيَى بن شـرف النووي، وهو من قريةٍ بالقُرب مِن دِمشـق تُسمَّى (نوى)، عاش الإمام في دمشق نحو ثمانٍ وعشرين سنةً، وكان آيةً في التقوى وآيةً في العلم.

لقد منَّ الله علينا وعلى المذهب الشافعي وعلى العرب والمسلمين بمثل هذه النماذج الرائعة الفائقة فأفنَوْا أعمارَهم الشـريفةَ في خِدمة هـذا الدين، وقد أَلَّف الإمـام مُحيي الدين النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الأربعين النووية، وهي التي نُقدِّم اليومَ شـرحَها ونرويها بالسند المتصل عنه ثم عن سيدنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وَرَضِيَ عَنْهُ: أما بعدُ فقد رُوِّينا -بضم المهملة، وكسر الواو مع تشديدها، وسكون الياء-، قلت: هذه لفظة ضبطها ابن الصلاح في مقدمته كما ضبطها علماؤنا ونحن نقرأ عليهم الحديث بهذه الكيفية وليست «رَوَيْنَا» بل «رُوِّينا».

- «فقد رُوِّينا عن على بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي الدَّرْداء، وابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين من طُرقٍ كثيرات بروايات متنوعات أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ»** وفي روايةٍ: **«بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى فَقِيهًا عَالِمًا»**.

وفي رواية أبي الدرداء: **«وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا وَشَهِيدًا»**، وفي رواية ابن مسعود: **«قِيلَ لَهُ: ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»**، وفي رواية ابن عمر: **«كُتِبَ فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ وَحُشِرَ فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ»**، واتفق الحُفَّاظ على أنَّه حديثٌ ضعيفٌ، وإن كثُرت طُرقه، وقد صنَّفَ العُلماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في هذا الباب ما لا يُحصَى من المصنَّفات».

ثم أخذ في سرد بعض المصنَّفات في هذا المقام حيث جَمع كلُّ عالم منهم أربعين حديثًا من أجل أن ينال شرف هذا الحديث النَّبوي، وهذه البشارة النبوية، نأخذ من هذا فِعْلَ أولئك العلماء والسَّلف الصَّالح الأتقياء، ومَوقِفَهم من قضية الحديث الضعيف، فهذا حديثٌ اتفق العلماء على أنه ضعيفٌ، وبالرغم من ذلك فقد اعتمَدوا عليه وألَّفوا فيه ومن أجله الأربعينيات، فبعضهم ألَّف أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا مُختلفًا، وبعضهم ألَّف أربعين حديثًا عن أربعين بَلدةً مختلفةً، وبعضهم ألَّف أربعين حديثًا في معنًى واحدٍ وموضوعٍ واحدٍ، وبعضهم

أَلَّف الأربعين في معانٍ مختلفة، وأراد الإمامُ النوويُّ أن يجمع الأحاديثَ التي ذُكِرَت كأُسُسٍ للإسلام، فمثلًا: بعض العلماء يقول: إن هناك ثلاثةَ أحاديثَ هي كل الإسلام:

الحديث الأول «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١)، والحديث الثاني هو: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ**»(٢)، والحديث الثالث: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(٣). واعتبروا أن هذه الأحاديثَ الثلاثةَ يُرَدُّ إليها كلُّ الدين، فمن أراد العملَ وإخلاصَ النيَّة لله، واشتغالَه بنفسه لا بالناس، وإقامةَ الإسلام في نفسه، فعليه بالتمسُّك بهذه الأحاديث الثلاثة فَإِذْ به يصل إلى درجة التقوى ودرجة الإحسان.

بعضهم جعل ذلك أربعةَ أحاديثَ وأضاف لها: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٤)، وبعضهم جعل ذلك خمسةَ أحاديثَ أو جعلها ثلاثة أو أربعة، لكنها تختلف عن هذه الثلاثة أو عن هذه الأربعة.

أخذَ الإمام النوويُّ في تَتَبُّع هذا الأمر من الكتب حتى جمع اثنين وأربعين حديثًا تتضمَّن أصولَ الإسلام، وهذه الأحاديث لا بدَّ أن نُعَلِّمَهَا لأبنائِنا وطَلَبَتِنَا ونجعلها محلًّا للحفظ والنظر والدراسة والفهم العميق، فجديرٌ بأبناء المسلمين أن تستوعب قلوبُهم تلك الأحاديثَ؛ لتُشكِّل النموذجَ المعرفيَّ لديهم، ثم تصير منهجَ حياةٍ متَّسعة، ويحدث التعمير، ولقد رأينا اهتمام العلماء بهذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (١/ ٦) باب: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣/ ٥٣)، بَابٌ: الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: (١/ ٤٠٩٧)، وابن ماجه في سننه: (٣/ ٥٥٣)، باب: كف اللسان في الفتنة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: (١٣/ ١٣٤٣)، بَابُ: نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ.

وقد ألف كتابًا ضمَّ إلى هـذه الأربعين الأحاديـث، فمنهـم ابـن رجب الحنبلي وقد ألف كتابًا ضمَّ إلى هـذه الأربعين الأحاديـث أخرى سـماه: «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم»، فأصبح هُناكَ خَمسـون حديثًا بين أيدينا، وشـرَحَ هذه الأحاديثَ أناسٌ كثيرون.

۞۞۞

الحديثُ الأوَّلُ

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**» رواه البخاري.

الشَّرحُ

وضعَ الإمامُ النوويُّ حديثَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» أولَ حديثٍ في كتابه هذا، ولقد فعل ذلك أيضًا الإمامُ البخاريُّ في صحيحِه، فإننا رأيناه وقد روَى هذا الحديثَ في تسعةِ مواضعَ في صحيح البخاريِّ، في بعضها زياداتٌ وفي بعضها اختصاراتٌ، ولكن إذا ما فتحنا صحيحَ البخاري وجدنا أولَ حديث فيه هو حديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

والإمامُ السيوطيُّ في الأشباه والنظائر يرَى أن هذا الحديث يدخلُ في سبعين بابًا من أبواب الفِقه،[1] ويرى أن قاعدة «**الأمور بمقاصدها**» إنما أُخذت من حديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» وقاعدة «**الأمور بمقاصدها**» قاعدة من القواعد الخمس الكُبرى التي بُني عليها الفِقه الإسلاميُّ كلُّه، وهي كُبرى القواعد التي اهتمَّ بها المذهبُ الشافعيُّ.

ولذلك يقولُ الناظمُ جامعًا هذه القواعدَ الخمسةَ:

خَمْسٌ مُحَرَّرَةٌ قَوَاعِدُ مَذْهَبِ ... لِلشَّافِعِيِّ بِهَا تَكُونُ بَصِيرًا

---

(١) الأشباه والنظائر: (١/ ٩).

ضَـرَرٌ يُـزَالُ وَعَـادَةٌ قَـدْ حُكِّمَتْ وَكَـذَا الْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَا

وَالشَّـكُّ لا تَـرْفَـعْ بِـهِ مُتَيَقَّنًا وَخُلُوصُ نِيَّةٍ انْ أَرَدْتَ أُجُـورَا

يَعني هذه هي القواعد الخمس:

(١- الضرر يُزال. ٢- العادة مُحَكَّمَة. ٣- المشقة تجلب التيسير. ٤- إخلاص النيَّة لا بد منه. ٥- الشك لا يرفع اليَقين) فهذه الخمسة هي القواعد التي بُني عليها الفقه الإسلامي كلُّه وهي القواعد التي تفرَّعت منها كل القواعد الفقهيَّة فيما بعدُ.

وحديثُ «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» رواه سيدنا عمر وهو فوق المنبر، وسمعه صحابة كثُر ولم يُنكر أحدٌ منهم على عمر أنه يَنسُبه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك يَعُدُّهُ العلماء من الأحاديث المتواترة تواترًا معنويًا، وقوله: «عن أمير المؤمنين أبي حفص» هذه هي كُنية سيدنا عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكُنِّيَ بأبي حفص لأنَّ ابنتَه هي السيدة حفصة أمُّ المؤمنين زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّما» تُفيد القصرَ والحصرَ، «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»؛ أي لا يقبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العملَ من المؤمن إلا بالنيَّة الخالصةِ، والنيَّةُ لها أحكامٌ تتعلَّق بها، وهي كما يلي:

أحكامُ النيَّة: جمعَها بعضُ العلماء في هذا البيت

حَقِيقَةٌ حُكْمٌ مَحَلٌّ وَزَمَنْ كَيْفِيَّةٌ شَرْطٍ وَمَقْصُودٌ حَسَنْ

أولًا: تعريفُ النيَّة: النيَّة في اللغة، هي: القصدُ، ومَراتبُ القصدِ على خمسِ درجاتٍ:

مَرَاتِبُ الْقَصْدِ خَمْسٌ: هَاجِسٌ ذَكَرُوا فَخَاطِرٌ فَحَدِيثُ النَّفْسِ فَاسْتَمِعَا

يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزْمٌ كُلُّهَا رُفِعَتْ   سِوَى الْأَخِيرِ فَفِيهِ الْأَخْذُ قَدْ وَقَعَا[1]

فهناك هاجسٌ، وبعدَ الهاجسِ خاطرٌ، وبعدَ الخاطرِ حديثُ النفس، وبعدَ حديثِ النفسِ الهَمُّ، وبعدَ الهَمِّ العزمُ، والعَزمُ هو النيَّة؛ وهي: (القصدُ المؤكَّدُ)، كلُّ هذه المراتبِ من مراتبِ القصدِ، وإثمُها مرفوعٌ عن المكلَّفِ، والقصدُ المؤكَّد هو المأخوذُ به وهو النيَّة.

ثانيًا: حكمُها: الوجوبُ

ثالثًا: محلُّها: القلبُ، ولذلك لا يُشترط التَّلَفُّظ بها، ولا بدَّ فيها من الإخلاص لله ربِّ العالمين.

رابعًا: زمنُها: بدايةُ الفعل غالبًا، فبدايةُ الوضوءِ غَسلُ الوجهِ، وبدايةُ الصلاةِ تكبيرة الإحرام، أما بداية فعل الصيامِ متعذِّر أن نبدأها بالنيَّة لأن بدايةَ الصيام هو الفجرُ، والفجرُ لا يستطيع أحدٌ أن يجلس ويترصَّدَه! ولذلك تكفِي النيَّة فيه ولو فى أي وقتٍ من ليلة الصيام.

وإذا كان الإنسانُ يُفطر فقال: اللهمَّ لكَ صُمتُ وعلَى رِزقِكَ أفطرتُ، ذهبَ الظمأُ وابتلَّتِ العروقُ وثبَتَ الأجرُ إنْ شاءَ الله، نويتُ صيامَ غدٍ من رمضان. فهذا يكفي، أو عند السحور، أو في أيِّ وقتٍ في الليل فإنه يكفي لنيَّة الصيام، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا أن نُبيِّتَ نيةَ الصيام بالليل.

خامسًا: كيفيَّتُها: تختلف بحسبِ الأبوابِ، فمثلًا عندما ينوي الوضوءَ للصلاةِ تختلف عن نيَّة رفع الحدثِ.

سادسًا: شرطُها: إسلامُ النَّاوِي وتميزُه وعِلمه بالمنوِيِّ، وعدمُ الإتيانِ بما يُنافيها.

---

(١) نظمها العلامة المدابغي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

سابعًا: **المقصودُ بها**: تمييز العبادة عن العادة.

قولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَـالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْـرِئٍ مَا نَوَى**»: أي حتى لو لم يعمـل، فإن الأعمـال بالنيات، فـلا يَقبَـلِ اللهُ العملَ إلا بنيَّـةٍ خالصةٍ لوجهه الكريم.

قولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْـرِئٍ مَا نَوَى**»: فلو نوى الإنسـانُ الخيرَ، ولـم يفعلـه فإنه يُثاب عليـه، ولو فعله لَأُعطي عشـرَ حسـنات، ولذلـك أُمِرْنَا أن نُحرِّر هجرتنا إلى الله ورسـوله، وأُمِرْنَا ألَّا نَجعل الهجرةَ إلا لله ولرسـوله، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**».

الحديث الثَّانِي

عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» رواه مسلم.

الشَّرح

هذا الحديثُ يُبيِّن مراتبَ الإسلامِ، ولقد أخرجَه مسلمٌ في صدر صحيحِه، وهو مرويٌّ عن سيدِنا عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لا يُرَى عَلَيْهِ

أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ» إذن هذا يدلُّ على أن الصحابة لا يعرفون هذا الرجل، وما داموا لا يعرفونه، فيفترض أنه قد أتى من خارج المدينة، فيلزم منه أنه مسافر.

والمسافر تظهر عليه هيئة السفر من غبارٍ، وشعْثِ شعرٍ، واتساخِ ثيابٍ، ولكن هذا الرجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، ولا يعرفه أحدٌ من الصحابة، وليس عليه أثر السفر، فكيف يكون هذا؟ هذا أول ما لفت نظر سيدنا عمر بن الخطاب.

ثم جاء هذا الغريب، فجلس جلسة المتأدب فوضع ركبتيه أي جلس على ركبتيه، في مقابلة رُكبَتي سيدنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووضع يديه على فخِذَيه؛ يعني على فخِذَيْ نفسه، على هيئة الطالب بين يدي أستاذه، وهذا يدل على أن هذا الرجل يعرف قدر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذا فهو مؤدَّب مع حضرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد جاء متعلمًا، وكانت الصحابة تسأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسئلة قليلة جدًّا، حتى إن ابن عباس قال: «ما سألت أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ثلاثة عشرَ سؤالا، كلها في القرآن: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[1] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[2] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[3] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[4] وهكذا. فكانوا يحبون الأعرابي العاقل الذي يأتي فيسأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يستفيدوا ويزدادوا علمًا، وقد كان هذا هو حالهم مع الجناب النبوي الشريف لأن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول لهم: «اتْرُكُونِي

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢٢٢).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢١٩).

(٣) سورة البقرة الآية: (٢١٩).

(٤) سورة البقرة الآية: (٢١٧).

مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[١] فكان ذلك امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٢].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» إذن فالإسلام أمور محددة واضحة، ولم يدعُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شيء ضبَابي، بل دعَا إلى أمورٍ محدَّدة بعينها: الشهادتين، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، صيام رمضان، حج البيت، وهذه تُسمَّى أركانَ الإسلام.

قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «قَالَ: صَدَقْتَ» هذا يعني أنه يعرف الجواب، فَلِمَ السؤال؟! وهنا يأتي العجب! «فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ».

والسؤال الثاني: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ» فالأول كان عن الاسلام، والإسلام هو الإناء، وهو الظاهر، وهو الشيء المنضبط الذي يُمكن قياسُه، ويمكن المحاكمةُ إليه من صلاةٍ وزكاةٍ وشهادةٍ مسموعةٍ ملفوظةٍ يعرفها كل أحد، «قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ستَّة أركانٍ للإيمان: «الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» هذه كلمات واضحة في الدلالة على المراد، فالذي يتشكَّك أو يُلحِد بالله، ليس بمؤمن، والذي لا يؤمن برسول الله

---

(١) جامع معمر بن راشد، باب: مسألة الناس (١١/ ٢٢٠).

(٢) سورة المائدة الآية: (١٠١).

ليس بمؤمن، وكذلك لا يكون مؤمنًا إذا أنكر اليومَ الآخرَ أو الملائكةَ أو الكتبَ أو أنكر أحدًا من رُسُلِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو كفر بالقدر.

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ» المرتبة الثالثة من مراتب الإسلام - الدين - الإحسان «قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» إذن هناك في هذه المرتبة قِسمان؛ قِسْمٌ هو: أن تصل إلى أن تعبُد اللهَ كأنك تراه، فتكون في حالةٍ وقد كُشِفَت عنك الحُجُب، ولذلك من يعبُد اللهَ كأنه يراه لا يعصيه، فهو في حالةِ جلالٍ وجمالٍ، في حالةِ رجاءٍ وهيبةٍ، فهو لا يفعل المعصيةَ ولا يتأخَّر عن الطاعات ويُسارع فيها.

كل هذه المعاني تتأتَّي عندما يعبُد الإنسانُ ربَّه كأنه يراه، فإذا لم يصل الإنسان إلى هذه الدرجة انتقل إلى القِسم الأقل -الثاني- «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وحينئذٍ فالإنسان هنا ينتقلُ مِن رُوحه إلى عقله، وفي العقل يعلم أن الحكيم خصيم نفسه، وأن العاقل لا بد له أن يُحاسِب نفسَه قبل أن يُحاسَب.

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» مَخفيَّةٌ لا يعلمُها أحدٌ.

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا» يعني أخبرني بشيء يدلُّ على أنها قَرُبَت، أو على أنه متى تكون هذه الساعة التي يُدمَّرُ فيها الكون، ويَفنَى ولا يَبقَى إلا وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[1] «قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا» أي أنَّ الأمَةَ تَلِد سيدتَها، قالوا: هذا معناه أنه ليس هناك بِرٌّ للأُمِّ، وهذا يعني شيوعَ العقوقِ.

---

(١) سورة الرحمن الآية: (٢٧).

قولـه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَأَنْ تَـرَى الْحُفَاةَ الْعُـرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّـاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِـي الْبُنْيَانِ**» قال الإمام النووي: هذه علامةٌ وليسـت حرامًـا، ولكن الحاصل: أن ترتيـب الأولويـات اختلَّ، ولذلك فهـم يتطاولون في البنيان ولـو كان التطاول في البنيان جائزًا.

قوله: «**ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» افتقدنا نحن في عصرنا هذا قضيةَ الأخلاق وقضية الإحسـان، وبالهجوم على التصوُّف هجومًا قاسيًا مستمرًّا غيـرَ مُبَـرَّرٍ، ابتدأ النَّـاس يفقدون كثيـرًا مِن المعَـاني الطيِّبة التي في هـذا التصوف الصحيح المُوَصِّل إلى الإحسـان الذي هو غاية الدين، فإن الإسـلامَ والإيمانَ لا بُدَّ فيهما من الإحسـان، يقول رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»[1] فتنبَّه فإن الأمر خطيرٌ.

❁❁❁

(١) أخرجه البزار في مسنده: (١٥/ ٣٦٤).

الحديث الثَّالِثُ

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

الراوي الأعلى لهذا الحديث هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فهو صحابي وأبوه صحابي أيضًا، وهناك من وصل إلى أربعة أشخاص في أصوله وفروعه كلهم صحابة، وذلك مثل أبي قُحافة كان صحابيًا، وابنه أبو بكر الصديق وهو سيد الصحابة، وهو وزير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أبو عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها، فهُناك أبو قحافة، وهناك أبو بكر وهناك ابن أبي بكر وهو عبد الرحمن وهناك ابن عبد الرحمن وهو محمد، وقد مَنَّ الله عليهم جميعًا بالإسلام، فهؤلاء أربعة في سياق واحد، محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة، وكلهم من الصحابة الكرام رضي الله عن أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ**» كأن الإسلام بِنَايةٌ لها أُسُسٌ، وبدون تلك الأسس يصبح البنيان هشًّا ضعيفًا قابلًا للانهيار، ولكن عندما يكون على أساسٍ، فإنَّه يَدوم ويكون آمِنًا مقبولًا، ولذلك فهذه الأركان هي أسس الإسلام، ودعائمه، وهي ما يجعل الإنسان في مَأمن بِإسلامه، فيؤتي الإسلام معه ثِماره، حيث إنَّ الإسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ينهى عن الفاحشة، ويفعل

الخير ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] يأتي هذا الفلاح عندما يكون الدين قويًا، ويكون الدين قويًا إذا بُنِي على أساسٍ مَتين.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**» هذا الحديث حديثٌ مشهورٌ، يجب أن يحفظه أبناؤنا ويجب أن نتعمَّق فيه، حتى إن عالمًا جليلًا مثل أبي الهدى الصيَّادي أَلَّف فيه كتابًا من أجْلِ أن يُفسِّر هذه الأركان الخمس، في مجلدين كِبار اسمه «ضوء الشمس في شرح حديث بُنِيَ الإسلام على خمس» أضاء فيه هذه المعاني، فلو ظللنا نشرح هذا الحديث شرحًا وافيًا لا بد أن نتطرَّق إلى الأحكام العقدية وكذلك الأحكام الفقهيَّة المتعلقة بربع العبادات في الفقه الإسلامي الوسيع، فالشهادتان وأثرهما وأركانهما ومعناهما وأحكامهما، والصلاة مع الوضوء والطهارة، وأنواع هذه الصلاة وأركانها وشروطها إلى آخره، ثم كذلك في الزكاة ثم كذلك في الحج ثم كذلك في الصيام.

هناك بعض الروايات قدَّمت الصوم على الحج، وهناك بعضٌ آخرُ قدمت الحج على الصيام، ولكن هذا الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، إنما وضح لنا الخمسَ بهذا الترتيب، فجعل الحج قبل الصوم، ووجود الحج قبل الصوم أو الصوم قبل الحج أو الزكاة قبل الصوم أو الصوم قبل الزكاة، معناها: أن هذه الخمسة تمثل دائرة لا تعرف بدايتها من نهايتها، وأنها كلها على مرتبة واحدة وفي صعيد واحد، فلا ترتيب في الأمر، بحيث إنك إذا ما صليت يجوز لك أن تترك الصيام أو إذا ما صمتَ يجوز لك أن تترك الحج وأنت مستطيع أو إذا فعلت الحج فإنك تتهرب من الزكاة.. ليس الأمر كذلك، بل كل

(١) سورة الحج الآية: (٧٧).

هذه الأركان على مستوى واحدٍ، وكلها أركان، ونَقْضُ هذه الأركان خللٌ عظيم في الدين، ونقض هذه الأركان أو تركها يجعل الإنسان على هامش الإسلام، ويجعل دينه هشًا ضعيفًا قابلًا للانهيار في أي وقت، ولذلك لا بد أن نتمسَّك بهذه الخمس.

الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولا تكفي شهادة واحدة، فعندما يقول الإنسان: أشهد أن لا إله إلا الله، فإنه لا يكون بذلك مسلمًا، بل لا بد أن يقول: وأشهد أن محمدًا رسول الله.

ولَمَّا وجد في التاريخ من يؤمن أن محمدًا ﷺ إنما هو رسول الله صدقًا، ولكن للعرب خاصة -وجدت طائفة من أهل الكتاب تؤمن بهذه المقولة- اشترط العلماء عندما يُسْلِمُ أحد هؤلاء أن يقول: وأشهد أن محمدًا قد أُرسل للعالمين، وليس للعرب ولا للمسلمين فقط.

هناك أيضًا فِرَقٌ ظهرت وآمنت بمحمد رسول الله ﷺ ولكنها آمنت بنبيٍّ آخرَ بالإضافة إلى الإيمان بسيدنا محمد ﷺ فقد ظهر مُتنبِّئون كثيرون عبر التاريخ منهم: سَجَاحُ، ومنهم: مُسَيْلِمة الكذاب، وفي النهاية ظهر بهاء الله... وكذا إلى آخره. وبهاء الله هذا لم يدَّعِ النبوة فحسب، بل ادَّعى الألوهية، وأن الله قد حلَّ فيه، إلى آخر هذا التخريف والتحريف، فلا بد عندما يأتي (البهائي) ليسلم ألَّا يُكْتَفَى منه بالشهادتين لدخوله الإسلام، بل يجب عليه أن يقول: وأشهد أن محمدًا هو خاتم الرسل والأنبياء وأنني بريء من كل دين يخالف دين الإسلام، والبهائية عندما جاءت ألغت الصلاة والصيام وشعائر الإسلام، وجعلت السنة تسعة عشر شهرًا، وجعلت الشهر تسعة عشر يومًا، وجعلت الصيام تسعة عشر يومًا، وجعلت العشور التي يأخذونها بينهم تسعة

عشر بالمئة أو شيء من هذا القبيل، فالشهادتان لا بد أن تكون على دين الإسلام وليس مجردَ ألفاظ، إقام الصلاة.. إيتاء الزكاة.. حج البيت.. صيام رمضان، هذا هو الذي شغله ربع العبادات عند المسلمين في هذا الفقه الوسيع الذي بلغت مسائله أكثر من مليون ومئتي ألف فرع فقهي، وقد استوعب ربعُ العبادات كيفيةَ إقامةِ هذه الأركان الخمسة.

❁❁❁

الحديثُ الرَّابعُ

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصَّادقُ المَصْدوقُ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؛ فَوَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

يرَى الإمام النوويُّ أن هذا الحديث من الأحاديث الأصول التي بُني عليها الإسلام؛ لأن فيه نوعًا من أنواع معرفة الحقائق الربانيَّة الإلهيَّة، وموقف الإنسان من الحياة، وعلاقة الإنسان بربِّه، وبَدء الخلق كما أن فيه أيضًا أحكامًا شرعيةً استنبطها الفقهاء.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**» هذه هي الأربعون الأولى «**ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ**» وهذه هي الأربعون الثانية «**ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ**» وهذه هي الأربعون الثالثة، وصلنا حتى الآن إلى مائة وعشرين يومًا؛ يعني أربعة أشهر، وعندما يُتم الجنينُ هذه الأيامَ، يُرسِل اللهُ ملكًا ينفخ فيه الروح، إذن في هذه الأيام المائة والعشرين لم يُنفخ فيه الروح بعدُ.

هذا وإننا نستطيع أن نرى مراحل هـذا التكوين مثلًا عندما تُسقط المرأةُ جنينَها، فإنها قد تُسقطه وهو في الأربعين الأولى، أو تُسقطه عَلَقةً، أو تُسقطه مُضغةً، أو تُسقطه بعدما اكتمل وأصبح له شيء من الخَلْق، أو تسقطه وقد نبت العظم.

وبذلك تعارفَتِ البشريةُ من هذه الأسقاط المختلفة في الأزمان المختلفة على مراحل تكوين الجنين، ولكن الغيب الذي في هذا الحديث: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أخبر أن الروح تُنفخ بعدَ مائة وعشرين يومًا، ولذلك نرى بعض الفقهاء لم يُرتِّب على الإجهاض -عند الحاجة إليه- أيَّ ضرر؛ لأنه لم تُنفَخ الروح بعدُ، فهناك فتوى عند الحنفية وعند الشافعية بجواز الإجهاض عند الحاجة إليه، وقولنا: «عند الحاجة» يختلف عن قولنا: «عند الضرورة»، فإنه عند الضرورة إجماعٌ على جوازه، إذن فلا بدَّ لنا أن ننظر إلى المائة يومٍ الأولى التي قد نحتاج فيها إلى التخلُّص من الجنين إمَّا لمصلحة الجنين وإمَّا لمصلحة الأم وإمَّا لأوضاعٍ أخرى تكتنف هذا الأمرَ، وهي كثيرةٌ جدًّا، والعلماء استنبطوا من هذا الحديث ذلك المعنى.

قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ**»؛ أي عند نفخ الروح فيه، وبعد أربعة شهور، يؤمر بأربع كلمات أساسية هن: كَتبُ: «**رِزْقِهِ**» وهذا أمر لا يعلمه بشر، أغني أم فقير؟ أو يولد فقيرًا فيغتني أو يكون غنيًّا فيفتقر؟ رزق حلال أم حرام؛ لأن الرزق يطلق على الحلال والحرام[1]، فهذا الذي أدخل على نفسه الحرام هو رِزق لكنه حرام، يمنع من استجابة الدعاء، وهو أيضًا رزق في النهاية.

---

(١) نعم قد يُطلق الرزق على الحرام أيضا، ومصداقُ ذلك قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] فقد جعل تكذيبهم بآيات الله رزقًا. قال صاحب الجوهرة:

وَيَرْزُقُ اللهُ الحَلَالَ فَاعْلَمَا ... وَيَرْزُقُ المَكْرُوهَ وَالمُحَرَّمَا.

«وَأَجَلِهِ» وهذا يُبيِّن أن الرزق والأجل بيد الله، ومن هنا فإن الإنسان يجب ألا يخاف أحدًا سوى الله، ولا يطلبَ أو يُلحَّ في الطلب إلا من الله قال ﷺ: «أَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»[١]؛ لأنَّ الرزق بيد الله وهو كالأجل لا يزيدُ ولا ينقصُ ولا يتقدَّم ولا يتأخَّر ولذلك «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[٢].

إذن فإن كتابةَ الرزق والأجل مسألة تُحَرِّرُ الإنسانَ وتجعله أيضًا متوكلًا على الله وتجعله يفهم حقائق العلاقة بين الإنسان وربه.

ثم يقول ﷺ: «وَعَمَلَهُ» يعني الهداية، فهناك مَن يزيد في العمل فيزيد إيمانه، وهناك من ينقص عمله، وهناك مَن يتوسط بين هذا وذاك، ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣] فالعمل هذا مخلوق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالتوفيق بيد الله والهداية بيد الله، ثم يقول ﷺ: «وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» يعني بذلك الخاتمة نسأل الله حُسنَها، لأن الخاتمة مهمَّة، ولا بدَّ لنا أن نهتمَّ بالدعاء لحُسن الخاتمة، فَسَّر رسول الله ﷺ هذه الرابعة، فقال: «فَوَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» -هذا معنى الشقي والسعيد- «حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا» والعكس «وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» ومن هنا يجب علينا ألاَّ نغترَّ بأنفسنا ولا بأعمالنا، ولا نُحقِّر الناسَ، فنقول: أنا أحسن من فلان لأنني على طاعة وهو على معصية، بل سَلِ اللهَ السلامة وتواضَعْ لله يرفعْكَ.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٢/ ٦٧)، باب: التوكل بالله عَزَّوَجَلَّ والتسليم لأمره تعالى في كل شيء.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٢/ ٢٤٨).

(٣) سورة الصافات الآية: (٩٦).

الحديثُ الخامِسُ

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

هـذا الحديث عدَّه الإمام النـووي أصلًا من الأصول التي يُبنَى عليها العقل المسلم، عقل الفقيه، أو عقل العالم، ينبني عليها عقل المسلم في إنكاره الزيادةَ في الديـن والبِدَع المذمومةَ، وفيه أيضًا تحريرٌ دقيـقٌ لمعنى البِدعة، ولذلك كان هذا الحديث من الأحاديث المهمَّة، ورأينا المسـلمين ينقسـمون على أنفسـهم لعدم تحريرهـم معنَى البِدعة، وكل فريق يتمسَّـك بمذهبه ورؤيته، ثم يُحدث بعد ذلك فتنًا للتفريق بين الأمَّة.

هـذا الحديـثُ ترويـه أم عبد الله عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي أم المؤمنيـن، وزوج النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبنـت سـيدنا أبـي بكـر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعائشـة لـم تنجب من رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن بالرغم مـن ذلك كان لها كُنيـة، فكانـت العرب تجعل للإنسـان كنية حتى لو لـم يكن له ولـد، فتكنَّت بأم عبـد الله بالرغم أنه ليس لها ولدٌ اسـمه عبد الله، ولكن العـرب كانت تعتبر الكُنية نوعًـا من أنواع الاحترام والتبجيل، ولذلك جعلوا لكلِّ شـخص كُنية، حتى لو لم تكن هذه الكُنية لها علاقة بقضية الولد، فكانوا يُسمُّون عبد الرحمن بن صخر أبا هريـرةَ وذلك لقصته مع هِرَّة صغيرةٍ، كان يدور بها، وأبو بكر الصديق كان اسـمه عتيقًـا، ولكنَّ كُنيته أبو بكر، فكانت الكُنيـة تُمثِّل قيمةً عند العرب، ولذلك تكَنَّتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بـ«أم عبد الله».

قولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَـنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَـذَا مَا لَيْس مِنْهُ، فَهُـوَ رَدٌّ**» فهذا أفصح العرب سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَا لَيْسَ مِنْهُ**»، ولم يقُل مَن أحدث في أمرنـا شـيئًا فهو رَدٌّ، فهـذا الدين قد تجـاوز الزمان والمكان، فلا بـدَّ أن توجد أشياء وقضايا تَجِدُّ مع الأزمـان لتحقيق المقاصد الشـرعية والمصالح المرعيَّة، لكـن لا بُـدَّ أيضًا أن تكون من هذا الدين، أي على نمـط هذا الدين، وعلى قواعد هـذا الدين، وهذا هو المنهج النبوي، فمن جاء وأراد تجميد الدين وأراد أن يقف الدين عند عصر رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يتعداه، فقد خالف مُراد الله وخالف مراد سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعَكَسَ القضيَّة.

فرسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد للإسـلام أن ينتشـر، وأن يعـمَّ، وأن يقوم في العالمين، وأن يحدث فيه ما هو منه، وعبَّر عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ (السُّنَّة الحسـنة) فقال: «**مَنْ سَـنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَـنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَـنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَـيْءٌ**»(١) والنبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤكـد هذا المعنـى فيقـول: «**عَلَيْكُمْ بِسُـنَّتِي وَسُـنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٢).

فرسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجعل الإسلام نسقًا مفتوحًا، ويريده بعض الناس أن يكون نسقًا مغلقًا على نفسه حتى لا يؤمِن أحد من البشر.

ورسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًـا يترك العبـادة في علاقة واضحـة بين الحق والخلـق، ولكـن بعـض الناس يكـون حجابًـا بيـن الخلـق والحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيصدون عن سبيل الله بغير علم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في باب: الحث على الصدقة: (٢/ ٧٠٤).
(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: (٤/ ٣٤١)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ.

هذا الحديث يُبيِّن لنـا معنى البِدعة وأن البِدعة: هي الحادث المخالف لما عليـه أمر رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما عليه أمـر الصحابة من بعـده وما عليه أمر أصول الشريعة[1].

لذلك إذا ما حدث حادث وكان من الشـريعة وعلى نمطها كان سنة حسنة، ولنـا أن نأخـذ به سـواء كان ذلك في مقـام الأحداث أو الأعمـال أو في أي مكان، المهـم أن يكـون من الشـريعة ومبنيًّـا عليها، ومن هنـا أجاز جماهيـر الفقهاء من السلف والخلف (القياس) فألحقوا الفرعَ بالأصلِ، حتى لا نخرج في حكم الفرع عن الشـريعة، ولذلك ألحقنا الأشـباهَ بأشـباهِها والنظائرَ بنظائرِها، وقِسنا الأمور بعضها على بعض بمعنى أنَّنا سـوَّينا الفرع بالأصـل في عِلَّةِ الحُكم وفي حكم هذا الأصـل، هذا هو الذي نَصَحَ به عمرُ بن الخطاب عندما أرسـل رسـالتَه الشـهيرةَ التي شـرحها ابن القيِّم في كتابه الماتع «إعـلام المُوقِّعين عن ربِّ العالمين» وهي رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري في القضاء، فنظر وضمَّ الأشباهَ إلى أشباهها والنظائر إلى نظائرها.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّمنا: أن الإنسـان المسـلم له أن يذكر وأن يدعوَ وأن يعبدَ الله ما دام على نمطِ الشريعةِ، وإن لم يعمله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يُقرَّه.

روى البخاري في صحيحه: عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، قَالَ: «**كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: مَنِ المُتَكَلِّمُ؟ قَالَ: أَنَا. قَالَ: رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**».

---

(١) إطلاق لفظ البدعة على الفعل مَعنيًّا به البدعةَ المذمومةَ مشروطٌ بثلاثة شـروط: ١- أن يكون الفعل مخترعًا. ٢- أن يكون معاندًا لأصل أو قاعدة شرعية. ٣- أن يكون في الدين.

فالملائكة تعرف الحقيقة، وأن هذا الرجل الذي أتى بقولٍ لم يعلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منه شيئًا أرادت الملائكة أن تصعد به إلى السماء لما رأته كلامًا طيبًا.

كذلك أيضًا روى البخاري في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالٍ: عِنْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ». قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: «دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي: تَحْرِيكَ». فهو كلما توضأ صلى ركعتين، لم يُعَلِّمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد، ولكنَّ بلالًا نظر في كلٍّ من الوضوءِ والصلاة فوجدَ أن كُلًّا منهما من الشريعة فربط بينهما، فالسلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن الأئمة المتبوعين فهموا معنى البدعة، ولذلك فإن الاحتفال بالمولد النبوي وبليلة القدر والنصف من شعبان والهجرة والإسراء والمعراج ونحو ذلك ليس ببدعةٍ لأننا أصبحنا في عصرٍ نحتاج فيه إلى إثبات الهوية الإسلامية، ولأننا في عصر نحتاج فيه إلى أن نتذاكر وأن نُطَبِّق قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[1] فيجب علينا أن نفهم معنى البدعة.

❁❁❁

---

(١) سورة إبراهيم الآية: (٥).

الحديثُ السَّادِسُ

عَـنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ النُّعْمَـانِ بْـنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقـول: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

هذا الحديثُ من أركان الإسلام ومن أركانِ العقلِ المسلمِ سواءٌ كان فقيهًا أو مفكرًا وسواءٌ أيضًا كان عاميًّا ويسير في طريق الله.

الحلال البَيِّن كالصلاة والصيام والزكاة والصدق والرحمة. والحرام البَيِّن كالمعاصي من قبيل الربا والزنا والسب والقذف وشهادة الزور ونحوها مُتَّفَق على ذلك بين الناس جميعًا، وبينهما مشتبهات، والاشتباه قد يكون في نطاق التكليف، وقد لا يكون في نطاق التكليف، فإن الشُّبَه ثلاثة أنواع:

١- **شُبهة الفاعل**، وهي كالحادثة قضاءٌ وقدرٌ، يعني فاعل يظن أو يوقن أن هذا الأكلَ حلالٌ، وأنَّ هذا السائلَ ماءٌ فشربه، ثم تبيَّن له أن هذا الأكلَ حرامٌ، أو أنه مَيتةٌ أو خنزيرٌ مثلًا، وأن هذا السائل ليس ماءً وإنما خمر، فلا إثمَ عليه؛ لأنه تناول هذا الأكل معتقدًا اعتقادًا جازمًا أنه حلال ثُم بانَ خطؤه، أو أن هذا السائلَ هو ماء ثم بان أنه ليس كذلك، فلا إثم عليه، فشُبهة الفاعل منزوعةُ الإثم، ولذلك

هو خطأ وقع قضاءً وقدرًا، يمكن أن نُسمِّيه (حادثة) بمعنى أنه لا قصدَ ولا نيّةَ ولا عِلم ولا أيَّ شيء من هذا القبيل.

٢- **شبهة المحل**، مِثالها: كأن يأتيني طعام فأتردَّد فيه هل ذُكِّيَ ذكاةً شرعيةً؟ تحيَّرت في هذا الأمر فيجب الترك احتياطًا؛ لأن الاحتياطَ في الدين واجبٌ، ومثال آخر: أخبرتني أمي أنها أرضعت بنتًا ما في عمارةٍ ما، وهذه العمارة فيها عشر شقق مثلًا ولا أعرف أيَّ بنتٍ هي؟ فيحرم عليَّ الزواج من بنات هذه العمارة، لأن عندي شبهةً تُسمَّى شُبهةَ المحلِّ، والاحتياطُ في شُبهةِ المحلِّ واجب.

٣- **شُبهة المذهب** ومثالها: قول الإمام الشافعي: لَمسُ المرأةِ ينقضُ الوضوءَ، وقول الإمام أبي حنيفة: لا ينقض الوضوء.

رأيت إمامين كلٌّ منهما يستدلُّ بالأدلة المعتبَرة من الكتاب والسُّنَّة، ولكنهما اختلفَا في الحُكم، في هذا الاشتباه يكون الاحتياط مندوبًا، فالخروج من الخلاف مستحبٌّ وليس واجبًا.

إذن فشُبهة المحلِّ الاحتياطُ فيها واجبٌ، وشُبهة المذهب الاحتياطُ فيها مستحبٌّ، فإذا لم أحتَطْ ولمستُ المرأةَ وصليتُ فصلاتي صحيحةٌ؛ لأنَّ هُناكَ أدلةً تدلُّ على ذلك.

إذن قد عرفنا أنَّ هناك أمورًا مشتبهات قد لا يعلمها الكثير من الناس، فمن اتَّقى الشبهات استبرأَ لِدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، لأن الإنسان عندما يتجرَّأُ على الشبهات، فإنه يُقَارب دَائرة الحَرام، والفرق بينهما خطوة، ورسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأمرُ أن تَستبرِئَ لِدينك ولعِرضك وألا تُواقِعَ هذه الشبهاتِ حتى لا تكون قريبًا من الحرام.

الحديثُ السَّابِعُ

عَـنْ أَبِـي رُقَيَّةَ تَمِـيمِ بْـنِ أَوْسٍ الـدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدِّيـنُ النَّصِيحَـةُ. قُلْنَا: لِمَـنْ؟ قَـالَ للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُـولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْـلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» رواه مسلم.

الشَّرحُ

هذا الحديثُ يرَى الإمام النوويُّ أنه رُكنٌ من أركان تكوينِ العقلِ المسلم، وأساسٌ من أُسس الدين. حديث جامع من أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يصلح أن نقول عنه: إنه من الأحاديث المفاتيح، فهو مفتاحٌ يمكن أن نفتح به كثيرًا من أحكام الشريعة وكثيرًا من خطوات الطريق إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه هي مزية هذه الأربعين التي جمعها الإمام النووي.

فقوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» كلمة تشعر بأن النصيحة هي حقيقة الدِّين، ولا يمكن للدِّين أن يكون إلا بالنصيحة، فإذا فُقِدَت النصيحة فُقِدَ الدِّينُ، هذا ما يدل عليه هذا التركيب اللغوي النبوي «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» وعلى غِرارِه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**»[1] حيث إن الحاجَّ متى فاته الوقوفُ بعرفةَ فاته الحج، فالحج عرفة، أي لا حجَّ بدون عرفةَ، فكذلك لا وجودَ للدِّين بدون النصيحة، فهذا التركيب معناه رُكنيَّة هذا الشيء في ذاكَ، وأنه عند انتفاء هذا الشيء وهو عرفة أو النصيحة ينتفي الحجُّ أو ينتفي الدِّين.

وبعض العلماء أراد أن يقلد هذا الحديث في قاعدة تُعبِّر عن حقيقةٍ موجودةٍ في آياتٍ كثيرةٍ وفي أحاديثَ كثيرةٍ، ولكن ليس بهذا التركيب فقالوا:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب: في فضل الشام واليمن: (٦/ ٢٥٧).

(الدِّيـن المُعامَلـة)، فهذه العبارة ليسـت آيـةً، ولا حديثًا، ولا أثـرًا، ولكنَّ الدِّين فـعلًا هو معاملـةٌ بين العبد وربِّـه، وبين العبد ونفسـه، وبين العبـد والكون وبين العبد والخلق.

والدِّيـن أيضًا هـو مجموعة الأخـلاق والأوامر والنواهـي والأحكام التي تجعل الإنسـان يُعامـل الخلقَ بالصـدق والوضوح والرحمـة قال ﷺ: «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ** -بسكون الميم وضمها- **مَنْ فِي السَّـمَاءِ**»[1]، وقال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[2].

نَعَـم، إنَّ الدِّيـن المعاملة، وهذا ليس حديثًا ولا أثـرًا كما قرَّرنا، لكنه قاعدة صِيغـتْ على نحو هـذا الحديث: «**الدِّينُ النَّصِيحَـةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّـهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» ومعناه: أن المسلم ينبغي أن ينصَحَ مخلصًا لوجه الله، وهناك فارقٌ بين النصيحة والفضيحة، ولا بد أن تكون النصيحةُ خالصةً لوجـه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحتى تكـون خالصةً ينبغي أن تكون في السِّـرِّ، وأن تكون هادئـةً، وأن تكـون مبنيَّةً علـى العِلم وألَّا يكون فيهـا أيُّ نوعٍ من أنـواع التكبُّر أو الشماتة، وأن يكون المؤدي لها راجيًا تحقيقَ النتيجةِ.

ثـم إن الإنسـان إذا ما أخلَـصَ في النصيحة وجـد آذانًا وقلوبًـا مفتَّحةً، وإذا كانـت النصيحة قد خرجت لغـرضٍ من الأغراض، فإنه يجد أمامـه قلوبًا مغلقةً، والنصيحـة لكتـاب الله نصـح المسـلمين إلـى كتـاب الله، نصحوا عندمـا نقطوا المصحـف، نصحوا عندما قسـموه إلى ثلاثيـن جزءًا، كل جزء إلـى حزبين، كل حـزب إلى أربعـة أرباع، نصحـوا عندما جـاءت دُور المطابع، فطُبِـعَ المصحفُ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (٤/ ٢٨٥)، باب: في الرحمة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (١/ ١٢)، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

وصُحح، ونصحوا عندما حافظوا على الأسانيد المتعلقة بالكتاب، وكذلك نصحوا عندما ألَّفوا في علوم القرآن الكريم، وفي رسمه، وفي ضبطه، وفي نقله، وفي تفسيره، وفي تجويده وتلاوته، وفي استنباط أحكامه، وفيما يُحيطُ به حتى فيما كُتب في تاريخ المصاحف، فنصحوا عندما خدموا القرآن من كل وجه.

والنصح لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحِفاظ على سُنَّته، نعم، هؤلاء العلماء حافظوا على السُّنَّة، ودوَّنوا الدواوين، وحافظوا على الأسانيد، وصحَّحُوا وضعَّفُوا ودافعوا عن سُنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله أيَّده صلى الله عليه وآله وسلم وأيَّدَ أتباعَه، وهو القائل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**»[1] وفي رواية: (كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي)[2] فحافَظُوا على الكتاب وحافَظوا على أهل البيت وحافَظوا على السُّنَّة النبويَّة المُشرَّفة، هذا نصحٌ وفَّق اللهُ الأمةَ له متمثلًا في خدمة سُنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكذلك أئمة المسلمين، فالنصح لهم دائمٌ في النظم السياسيَّة والاجتماعيَّة، وفي الحُكم وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي التذكرة والموعظة التي لا يزال علماء المسلمين ينصحون بها أئمتَهم وحُكَّامَهم وأُمراءَهم. وكذلك النصح لعموم المسلمين، ولذلك أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتناصَحَ وأن نقبَلَ النصيحة، فننصح من جهةٍ ونَقبَل النصيحة من جهة أخرَى، فقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**رحم الله امرءًا أهداني عيوبَ نفسي**»[3].

❁❁❁

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: (٦/ ٣٣٧)، باب: مَنَاقِبُ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه البزار في مسنده: (١٥/ ٣٨٥).

(٣) سنن الدارمي: (١/ ١٠٦).

الحديث الثَّامن

عَـنِ ابْنِ عُمَـرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أُمِـرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّـاسَ حَتَّى يَشْـهَدُوا أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـولُ اللهِ، وَيُقِيمُـوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الـزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

بيَّـن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أمورًا كثيرةً، منها: أولًا الجهاد وأن الإسـلام مع رحمته وبدء رسـالته بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لا يقبل الضيم ولذلك أباح القتال في سـبيل الله بشـرط أن يكون في سـبيل الله، ونهانا مع ذلك عن الاستمرار في القتال من غير سبب، ونهانا عن العدوان وعن الطغيان، بـل جعـل الجهاد من أجـل أن نصد العدو فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَـبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُـمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِيـنَ ١٩٠ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْـجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُـمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] يتَّضح من خلال آيات القرآن الكريم الذي هو دستورُنا أن القتال يكـون من أجل صَدِّ العدوان ورفع الطغيـان، وأمرنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ألَّا نعتديَ، وبَيَّن لنا في حقائقَ واضحةٍ جليةٍ أنه سبحانه لا يحب المعتدين، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة الآية: (١٩٠- ١٩١).

(٢) سورة الأنفال الآية: (٦١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ» فسَّر العلماءُ الناسَ على أنهم مشركو العرب، وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جلس في منتهى الرحمة في المدينة يبني أمَّته ويُعلِّمهم صلاةَ الليل ويأمرهم بالصلوات الخمس كل يومٍ وليلةٍ، وكلُّ الناس تُصلي، فلا يقوم العلماء أو الكهنة بالصلاة عن الأمة، بل إن الأمة كلها يجب عليها أن تصلي وهي ركن من أركان الدين، فالمسلم ليس لديه الفراغ من الوقت؛ لأن يعتدي على الناس ولا أن يتتبَّعهم، ولكنْ فجأةً أتى المشركون لقتال المسلمين في المدينة للقضاء عليهم، ومرَّة في بدر وانتصر المسلمون، وأتى المشركون في العام الذي بعده في أُحدٍ وكانت النتيجة النهائية بالرغم من الهزيمة الظاهرة أن المسلمين قد انتصروا؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمر الصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بتتبُّع المشركين، فتتبَّعوهم حتى لحقوا بهم في حمراء الأسد -وهي قريبة من مكة- فدخلوا مكة في رُعب بعد أُحدٍ، ثم بعد ذلك غزوة الخندق في المدينة المنورة... إلى آخره.

فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يذهب لقتال أَحدٍ ولا للعدوان عليه، وإنما هو يحافظ على الدفاع عن أمته، فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**» لا علاقةَ له بالإكراه في الدين، بل له علاقة بصَدِّ العدوان وكفِّ الأذى عن الناس، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بوضوح في القرآن عُلِّم: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[1]، ﴿**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[2].

---

(١) سورة الكافرون الآية: (٦).

(٢) سورة الكهف الآية: (٢٩).

فالأمر مُرَحَّلٌ إلى الآخرة، والحساب عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيث يُنبِّئنا بما كنَّا نعمل وبما كنا فيه نختلف، فواضح في القرآن قوله جل جلاله: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ (١) وواضح في القرآن قوله جل جلاله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (٢)، وواضح في القرآن قوله جل جلاله: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (٣) وواضح في القرآن قوله جل جلاله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (٤) لم يجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلطانًا على قلوبهم، ولا على رقابهم، ولا على هدايتهم.

في هذا الحديث: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ» ولم يقل: (أمرتم أن تقاتلوا) أو (أمرنا أن نقاتل) بل (أُمِرتُ) أي أنا، فكأنها مسألة زمنيَّة خاصَّة بعهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك للدفاع عن النفس وصَدِّ الطغيان والعدوان الذي سبَّبه اليهود وسبَّبته الاتفاقات بينهم وبين المشركين وسبَّبه المشركون لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى تنجوَ الأمة.

۞۞۞

(١) سورة المائدة الآية: (٩٩).

(٢) سورة القصص الآية: (٥٦).

(٣) سورة النساء الآية: (٨٠).

(٤) سورة الغاشية الآية: (٢٢).

الحديثُ التَّاسِعُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

في هذا الحديث الذي اعتبَره الإمام النووي من الأحاديث المُكوِّنَة لعقل العالِم والمجتهد والمفكِّر والعامِّيِّ المسلم، وهو يسعى بإسلامه في تلك الحياة يجب عليه أن يعلم أن الدين بُنِي على قِلَّة السؤال، وليس على كثرة السؤال، وعلى أن نفهمه بالإجمال لا على أن نتنطَّع في السؤال، والتنطُّعُ في الدين أمرٌ مذموم نهى عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا سَفَرًا قَطَعَ، وَلا ظَهْرًا أَبْقَى**»[(١)]، ونهانا عن كثرة السؤال قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ**﴾[(٢)] فربُّنا يرشدنا إلى قِلَّة السؤال، وقد امتثل الصحابة لذلك، وعندما تتأمَّل في القرآن الكريم تجد سورةَ البقرةِ، السورةَ الأولى في القرآن بعد الفاتحة،

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: (٣/ ٢٧)، باب: القصد في العبادة والجهد في المداومة.

(٢) سورة المائدة الآية: (١٠١ - ١٠٢).

ذكر الله فيها الخَلْق وآدم وموسى مع بني إسرائيل، وذكر الله فيها الأحكام الكبرى من الطلاق والزواج والبيع والربا والقتال والحج والصيام... إلى آخره.

كان من الممكن أن تُسمَّى سورةَ آدمَ، أو موسى أو بني إسرائيل أو سورةَ الأحكامِ الكبرى، فلماذا سُميت بالبقرة؟ لا بد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يريد أن يَلفِت أنظارَنَا إلى قصة البقرة، لأنه يريد أن يجعل قصةَ البقرةِ أساسًا من أُسس الدين، ويريد مِنَّا أن نَجعلَها منهجَ حياةٍ، وهو أن بني إسرائيل عندما أُمِروا بشيءٍ أَلَحُّوا في السؤال عنه مرةً بعد مرةٍ، وفتَّشوا في الجزئيَّات وتعمَّقوا في هذه الأسئلة حتى ضَلُّوا أو كادُوا أن يَضِلُّوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾[1] فلم يرضَوْا بهذا الأمر، وجلسوا يسألون عن: ما هي؟ وما لونها؟... إلى آخره. فشدَّد الله عليهم، ولو كانوا ذبحوا بقرةً أيَّ بقرةٍ من أول الأمر لكفى، لكنهم تنطَّعُوا في السؤال فشدَّد الله عليهم.

نعم نحن مأمورون شرعًا بأن نسألَ، وظاهرةُ كثرةِ السؤالِ -وإن كانت تشتمل على مسألة إيجابيةٍ وهي أن الناس تريد معرفة أحكام دينها- إلا أنها تشتمل أيضًا على مسألة سلبيَّةٍ، وهي أن الناس يُفتِّشون ويتعمَّقون ويُخالفون مُرادَ الله ومُرادَ رسوله من هذا الدين، كثيرٌ من الناس يريد أن يتلاعب بالدِّين، أو يريد أن يقف عند حد السؤال والمعرفة دون حد التطبيق.

كانت الصحابة الكرام يقرءون خمسَ آياتٍ خمسَ آياتٍ، واقفين عند كل آيةٍ مُطبِّقين لها، بعد ذلك ينتقلون إلى خمسٍ أُخَرَ، وبذلك طبَّقوا تدبُّر القرآن، وطبَّقوا التدرُّج في التطبيق، وطبَّقوا عدمَ التشدُّد والتنطُّع في الدين، وكانوا لا يسألون سؤالين عن شئٍ واحدٍ في آنٍ واحدٍ.

---

(١) سورة البقرة الآية: (٦٧).

إذن هـذا الحديـث يُبيِّـن فيـه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مسـاحةَ التركِ أسـهل، يسـهل أن يترك أحدُنا شُربَ الخمـر والزنا والكذب... إلى آخره، لأن التركَ لا يُكلِّـف شيئًا إلا مَنعَ النفسِ أن تفعـل المعاصي، أما جانب الفعـل ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1] إذن فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحيـمٌ بعباده، والترك أخـفُّ من الفعل؛ ولذلك اترك كل المنهيَّات ثم أيضًا افعل ما تستطيع من المأمورات، والحمد لله أن المأموراتِ محصورةٌ قليلةٌ، وأهمُّها الصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾[2] وأهمُّها أن تُحافظ عليها ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[3] لأن الصلاة عماد الدين وذِروَة سنامه، فـلا يصح بدونها أيُّ عبـادةٍ، ولا تكون هناك بركةٌ إلا بهـا، ولذلك يجب علينا أن نتمسَّـك بالصلاةِ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[4] فلا بُدَّ أن نحافظ على الصلاة.

❁❁❁

(١) سورة التغابن الآية: (١٦).

(٢) سورة العنكبوت الآية: (٤٥).

(٣) سورة البقرة الآية: (٢٣٨).

(٤) سورة التوبة الآية: (١٨).



الحَديثُ العاشِرُ

عَـنْ أَبـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾**[1] **وَقَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾**[2] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟**» رواه مسلم.

الشَّرحُ

هذا الحديثُ يُبيِّن أهميَّة الدعاء، وأن للدعاء شروطًا، وأنَّ مِن أعظم شروط استجابة الدعاء أكل الحلال، ولبس الحلال، وفعل الحلال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3] فلا بدَّ لنا أن نؤمن بالله، وأن نستجيب لأمرِهِ ونهيِهِ وحدَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: «**عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**» **اختلف العلماء في صرف أبي هريرة وعدم صرفها على قولين:**

١- الجمهور يرون أنها ممنوعة من الصرف، ولذلك تجر بالفتحة فتقول: عن أبي هريرةَ.

---

(١) سورة المؤمنون الآية: (٥١).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٧٢).

(٣) سورة البقرة الآية: (١٨٦).

٢- وآخرون يرون -وهم القِلَّة- أنها مصروفة، وإذا نطقوا بها يقولون عن أبي هريرةٍ، وألَّف أحدُ الهنود في ذلك «إزاحة الحيرة في صرف أبي هريرة» والأول هو الذي عليه الجمهور.

وكان شيخنا العلامة الأجلُّ الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري يرى صرفَها، وأنه ليس هناك ما يوجب منعها من الصرف، وكنا إذا قرأنا عليه نقرأ عن أبي هريرةٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إنَّ اللهَ -تعالى- طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا**))، ولذلك فإنه لا يجوز أن نُنفق الحرام، بل ينبغي علينا إذا أنفقنا نفقةً في سبيل الله أن نتخيَّرها من أطيَبِ أموالنا حلالًا طيبًا، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طيِّب لا يقبل إلا طيبًا، ومن هنا أخذ العلماء حُكمًا، وهو: أن الإنسان الذي دخل عليه المال الحرام يجب أن يتخلَّص منه، فإذا فقَدَ صاحبَه أو لم يعرفْه أصلًا، فالحيلةُ في ذلك: أن يرفع يدَهُ عن ذلك المال ويُنفقه على الفقراء والمساكين والمحتاجين لا على أنه صدقة؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طيِّب لا يقبل إلا طيبًا، وثواب ذلك المال يعود لأصحابه لا لمن تخلَّصَ منه، وإنما يفعل ذلك ابتغاءَ ألا يُحاسَب عليه، وإعلانًا لتوبته، وليس على سبيل الصدقة.

يُعَلِّمُنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف نفهم القرآن، وكيف نأتي بالنظائر والأشباه ونستنبط منها المعاني، فلما وجَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأمرَ للرُّسُل بأكل الطيبات، ووجَّه ذلك الأمرَ أيضًا للمؤمنين، فلفَتَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنظارنا إلى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أمر المؤمنين بما أمَرَ بِه المرسلين، وحينئذٍ نعلَمُ أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى من أجل التبليغ، ومن أجل أن نجعلَهُ أسوةً حسنةً ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ

هذا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرسل المرسلين من أجل أن يُقلِّدهم عبادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الأرض، بطاعته ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2] يؤخذ من وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] وجعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثالاً يُحتذَى ولذلك فإنه أمرنا

قوله: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ» وقد فقدَ شرطَ استجابةِ الدعاء بِكَوْنِ «مَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ» فالحرامُ تخلَّلَ بواسطةِ الغذاء كلَّ جسدِه، فأنَّى يُستجاب لذلك؟! كيف يُستجاب لمن لم يُطِبْ مَطعَمَه؟! وفي الحديث: «أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»[3] وطِيبُ المطعمِ يتأتَّى بأمورٍ منها:

الرزق الحلال، فالإنسان عليه أن يتأكَّد من أن رزقَه حلالٌ، فيمتنع عن السرقة، وعن الرِّشوة، وعن الاغتصاب، وعن حُلوانِ الكاهنِ، وعن ثمن الكلب، وعن مهر البَغِيِّ، وعن كل ما يُغضِب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم بعد ذلك عندما يُحرِّر مالَه من الحرام، فإنه لا يتناول الحرامَ، فيبتعد عن الخمر وعن الخنزير وعن المَيْتَة وعن غير ذلك من أنواع الحرام، فلا يُدخل على نفسه الربا ولا الغررَ ولا العقودَ الفاسدةَ، ثم إنه بعد ذلك لا يأكلُ أيضًا مالَ اليتيم ولا يفعلُ ما نهى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه، فيُستجاب دعاؤه حينئذٍ، والدعاءُ المستجابُ له أهميَّة في حياة المسلم، وقد كان الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مثالًا يُحتذَى في تبرئَة طعامه، فكان لا يأكل إلا مما يُرسِله أبواه إليه من الطعام، وكان يصوم كلَّ يوم، وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يتحرَّزُ من أن

(١) سورة الأحزاب الآية: (٢١).
(٢) سورة الحشر الآية: (٧).
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (٦/ ٣١٠).

يأكل شيئًا فيه شُبهة ولو كانت بعيدةً كأوقاف دمشق مثلًا في الفواكه ونحو ذلك، وكان مستجابَ الدعاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وهناك ناحيةٌ أخرى في طِيبِ المطعَم وهو أن يكون مذاقُهُ حسنًا، وألَّا يكون الإنسانُ شَرِهًا في تناوُل الطعام حتى يتلذَّذَ بطعم الطعام، وهنا نرى قولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»(1) فكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمامَ المتقين في قِلَّة الطعام.

وهناك أيضًا توجيهاتُ السادة الأولياء في قِلَّة الكلامِ وقِلَّة الطعامِ وقِلَّة مُخالَطَة الأنام، فهذه تُفجِّر ينابيعَ الحكمةِ في قلبِ المؤمن، وإذا رأيتم الرجل أُوتي صمتًا فهو يُلقَّن الحكمةَ ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(2) أطِبْ مطعَمَك تكن مستجابَ الدعاء.

❁❁❁

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: (٤ / ١٦٨)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ كَثْرَةِ الأَكْلِ.

(2) سورة البقرة الآية: (٢٦٩).

الحَديثُ الحادِي عَشَر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ» رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الشَّرحُ

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ» وهو بالفتح مِن (رَابَكَ الشَّيْءُ)، ثلاثي، أو (أَرَابَكَ) وهو رُباعي، ولو جعلته رباعيًا تقول: (دَعْ مَا يُرِيبُكَ)، وكلاهما صحيح إلا أن الأفصح هو الثلاثي لا الرباعي.

والرَّيْبُ في لُغة العرب على ثلاثة أنحاء:

١ الرَّيْبُ بمعنى التُّهمَة، قال بعضهم:

قَالَتْ بُثَيْنَةُ يَا جَمِيلُ أَرَبْتَنِي ... قُلْتُ كِلَانَا يَا بُثَيْنُ مُرِيبُ

(أَرَبْتَنِي) أي: اتَّهَمْتَني أو كنتَ سببًا في تُهمَتي، (كِلَانَا يَا بُثَيْنُ مُرِيبُ)؛ يعني كِلانا متَّهم في العشق وفي الهُيام؛ لأنه كان يحبها، وكان يُكثر الأشعار فيها.

٢ الرَّيب بمعنى الحاجة، قال: (فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ) يعني كلَّ حاجةٍ.

٣ الرَّيْبُ، بمعنى الشك، وسبب هذا الشك أنه غير مُتيقَّن، ولعل معناه في هذا الحديث: دَعْ ما يُسبِّب لك الشكَّ وكن مع ما لا يُسبِّب لك الشكَّ من اليقين، فإن اليقين لا يزولُ بالشَّكِّ والشَّكُّ لا يَرفع اليقين، والإنسان عندما يتأكَّد في حياته من اليقين أو ما قارَب اليقين من الظن الراجح ويترك الشكَّ والريبَ، فإنه يكون على بيِّنة من أمره.

فعن ابن عباس، قال: سُئِل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشهادةِ، قال: **«هَلْ ترى الشَّمْسَ؟»** قال: نَعَمْ. قال: **«عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أَوْ دَعْ»**[1] وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائمًا يأمرنا بالبعد عن سوء الظن ويأمرنا دائمًا بحُسن الظن، وكثير من مشكلاتنا تنفكُّ وتنحلُّ إذا ما تمسَّكنا بهذا الحديث النبوي الشريف، وقد بنَى العلماء على هذا الحديث قاعدةً مهمةً من القواعد الخمس الكبار التي اعتمد الفقه الإسلامي عليها وهي قاعدة: (اليقينُ لا يُزال بالشَّكِّ).



(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (١٣/ ٣٤٩)، باب: الجود والسخاء.

الحَدِيثُ الثَّاني عَشَرَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ» حديثٌ حسنٌ، رواه الترمذي وغيره.

الشَّرحُ

مِن حُسن إسلام المرءِ أن يترك ما لا يهمه، فلقد نهانا ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن اللَّغو، واللَّغو كلامٌ مباحٌ في حدِّ ذاته؛ لأنه لو كان كلامًا محرَّمًا لدخل في الحرمة من الغيبة، والنميمة، والبهتان، وشهادة الزور، والكذب، وكل ما يتعلق بآفات اللسان، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1]؟! وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»[2] إذن فالحرام بيِّنٌ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم.

والكلمة الحسنة صدقةٌ، فهذا كلام طيب مطلوب، لكن اللَّغو كلامٌ مباحٌ، إذا أكثر الإنسان منه فقد ضيَّعَ على نفسه واجبَ الوقتِ وهو (ذِكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى). فمن حُسن إسلام المرء ألا يُفتِّش عن شيء لا يعنيه، لأن ذلك من باب اللَّغو الذي يجرُّ عليه ضَياع الفوائد، وفوات الوقت، وضياع هذه الواجبات التي كان يمكن أن يشتغل بها، ورحم الله امرءًا شغلتْهُ عيوبُهُ عن عيوب الناس، وكان النبي

---

(١) رواه الترمذي في سننه: (٤/ ٣٠٨)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: (٨/ ١٠٠)، بَابُ: حِفْظِ اللِّسَانِ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرُنا دائمًا بهذا المعنى: «**مِنْ حُسْـنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»، وهـذا الحديث مـن الأحاديث التي نـصَّ الأئمة الكرام على أنـه أصل عظيم من أصول الدين، وعليه تُبنَى جملةٌ من قواعد الشـرع الشريف التي يُسْتَمَدُّ منها الفقهُ والسلوكُ، ويترتب عليها العملُ.

❁❁❁

الحَديثُ الثالثَ عَشَرَ

عَـنْ أَبِي حَمْـزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَادِمِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

في هـذا الحديث علَّق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بأن تُحبَّ لأخيك ما تحبُّه لنفسك.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِأَخِيهِ**» يجعلنا نطرح سؤالًا: مَن المقصود بالأخِ في هذا الحديث؟ أهو أخوك المسلم؟ أو أخوك في الرحم؟ أو هو أخوك في الإنسانية؟

إنْ قُلنا بأنه أخوك في الرحم نكون قد ضيَّقنا واسعًا؛ لأنَّ الإنسانَ قد لا يكون لـه أخٌ شـقيقٌ أو لأبٍ أو لأمٍّ، وقد يكون له! لكنه واحد أو اثنان أو عشـرة، ولكن عندما نحمله على المسلمين يتسع الأمر ويعمُّ الخير ويصبح الإنسان يحب لأخيه المسـلم ما يُحبُّه لنفسِـه من الخير ومن فِعْلِه ومن الالتزام بالشـريعةِ الغرَّاء، يقول الشيخ الشبرخيتي المالكي في شرحه على الأربعين النووية: أن الأُخوَّة هنا هي أخوَّة العالم كلِّهِ وأُخوَّة الإنسان، وأنَّ الإنسانَ يُحبُّ الهدايةَ لجميع الناس، ولذلك فهو يحب لأخيه الإنسـان الهدايةَ كما يُحبُّها لنفسـه، ويحب أن يهدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كلَّ مَن على الأرض، كما أنه يحب أن يموت على الهداية... اهـ بتصرُّف[1].

---

(١) قـال الشـبرخيتي: «قـال ابن العمـاد: الأَوْلى أن يُحمل علـى عموم الأُخوَّة حتى يشـمل الكافر والمسـلم، فيحـب لأخيه الكافر ما يحب لنفسـه من دخوله في الإسـلام، كما يحب لأخيه المسـلم الـدوام عليـه، ولذلك ندب الدعـاء له بالهداية». الفتوحات الوهبية بشـرح الأربعيـن حديثًا النووية (ص: ٣٢٥) لبرهان الدين إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»؛ أي: في الإنسانية، والحبُّ للنفس قد يكون للدنيا وقد يكون للآخرة، والحديث عامٌّ يشمل الدنيا والآخرة، قد يكون متعلقًا بالهداية وقد يكون متعلقًا بالتَّمكُّنِ في الأرض، والحديث عامٌّ يشمل كلَّ ذلك، إذا تحقق الإنسان مِن الحب، فعليه أن يعلم أن الحبَّ عطاءٌ، فما دام يحب فهو يعطي، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر أصحابه أن يُعَلِّمَ أحدُهم جيرانَهُ، وألا يبخلَ عليهم بهذا التعليم وألا يتأخر أحدهم عن ذلك، ولذلك غَضِبَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أقوام يتركون جيرانَهم على جَهالةٍ.

كان يحبُّ أن يشيع التعليم في الناس ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»[1] فعليك أن تحبَّ لأخيك الصحةَ والعلمَ والهدايةَ وعملَ الخير، وتحبَّ لأخيك ما تحبُّه لنفسك من الخير ومن الأرزاق، والدَّالُّ على الخير كفاعله، ومَنْ سَنَّ سُنةً حسنةً، فله أجرُها وأجرُ مَن عمل بها إلى يوم الدين.

❁❁❁

(١) أخرجه الترمذي في سننه: (٥/ ٢٨)، بَابُ: فَضْلِ طَلَبِ العِلْمِ.

الحَديثُ الرابعَ عَشَر

عَـنِ ابْنِ مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

في هذا الحديثِ يُبيِّن لنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرمةَ الدَّمِ، وأن دمَ المسلمِ لا يُستهان به، بخلاف ما نراه اليومَ في العالَم مِنَ استهانةِ الناس بدم المسلمين؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أصبح المسلمُ مظلومًا بين قُوَى الشرِّ ومحاوِرِه التي تعمل على إهلاكِه، وكأنه لا يساوي حتى بعضَ العصافير، ولقد صبر المسلمون على ما فُعِلَ بهم عبر التاريخ من اليهود، والمشركين، ومن الفُرس والرُّوم، ومن المغول والصليبيين قوات وجحافل الاستعمار الحديث، ومن أهل الشرِّ وما أحدثوه في بلاد المسلمين، مثل البوسنة والهَرْسَكِ، وفي العراق، وفي أفغانستان، وفي الصومال، وفي إفريقيَّة، كل هؤلاء حدث لهم شرٌّ عظيم، بعضُه ناتج عن تصرُّفات بعض المسلمين الذين جَهِلوا دينَهم، وكثيرٌ منه نتج عن تقاعسنا وتكالب الأمم علينا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ...**» النفي مع (إلا) يُفيد الحَصرَ، وهذا في الحقيقة حصرٌ شرعيٌّ بمعنَى: أنه يمكن للشرع أن يضيف إلى هذه الثلاثة، ولكن بدليلٍ مُستقلٍّ وبحديثٍ مستقلٍّ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الثَّيِّبُ الزَّانِي**» وعقوبتُها الرَّجمُ، وثبتَ الرَّجم بالسُّنَّة المشرَّفةِ في حديثِ ماعزٍ وفي حديث الغامديَّة، والرَّجم كان قليلًا جدًّا في تاريخ

المسلمين؛ لأن الإسلام جعل هذه العقوباتِ زاجرةً ومُبيِّنةً لِعِظَمِ الذنب، ولذلك جعل شروطَ تطبيقِها في غاية التركيب والصعوبة.

وأكَّدَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ»[1] ونهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن تُقام الحدودُ في أثناء الحربِ أو في دار الحربِ.

فضَيَّقَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ الحدود؛ لأنَّها زواجر من ارتكاب الذنب وليست انتقامًا من المذنب عندما يتوب.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ» والمرادُ هُنَا هو القِصاص قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي الْأَلْبَـٰبِ﴾[2] درءًا للقتل ولاعتداء الناسِ بعضِهم على بعض، فنهَى الله تعالى ورسولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قتل النفس التي حرَّم اللهُ إلا بالحق، وجعل القصاص مُصلِحًا للبال ومانعًا لوقوع الجريمة، إلا أنَّه لم يُحَتِّمه، بل جعل هناك ديةً وجعل هناك عفوًا ومكَّنَ وليَّ القتيل من أن يعفو أو يَقبَل الديةَ.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» ولذلك فإن المُرتدَّ المعتديَ على الجماعة الذي يُقاوِم النظامَ العامَّ ويَخرجُ عنه ويَكِرُّ عليه بالبطلان: حقُّه القتلُ، وهذا أمر تقرَّر عند العقلاء في كل الدنيا، أن الذي ينقلب على النظام، والذي يَخرُج على الجماعة، والذي يُقوِّض أركان المجتمع حقُّه الاستئصال، ولذلك نرى أن كل أنظمة العالم تحكم على الجاسوس وتحكم على المُفرِّطِ في أمن الدولة بالخيانةِ العظمَى وعقوبتها القتل، وهذا عند جميع الأنظمة القانونية

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: الحدود باب: مَا جَاءَ فِي دَرْءِ الْحُدُودِ. بلفظ: «ادْرَءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

(٢) سورة البقرة الآية: (١٧٩).

في العالم، وقد أخذوا ذلك من قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» ولم يُرتِّب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حـدَّ القتل على من ترك دينَه فقط، بل هناك صِفتان: «**التَّارِكُ لِدِينِهِ**»، والصفـة الثانية «**الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**». وهذا حديث صحيح تؤخذ منه قاعدة مهمَّة من قواعد الدين.

❁❁❁

الحَديثُ الخامسَ عشَرَ

عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قـال: «مَـنْ كَانَ يُؤْمِـنُ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ فَلْيَقُلْ خَيْـرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَـنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ فَلْيُكْـرِمْ جَـارَهُ، وَمَـنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ فَلْيُكْـرِمْ ضَيْفَهُ» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

النبـيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قـال عـن نفسـه: فيمـا رواه أبـو هريـرة: «بُعِثْـتُ رَحْمَـةً مُهْـدَاةً»(١) وقـال عـن نفسـه فيمـا رواه أبـو هريـرة أيضًـا: «إِنَّمَـا بُعِثْـتُ لِأُتَمِّـمَ صَالِـحَ الْأَخْلَاقِ»(٢) وكان رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأمـر بحُسـن الخلُـق، والمُتتبِّع لأحاديث رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يجد أنَّ جُلَّها إنما هو في الأخلاق المرتبطـة بالعقيـدة، ومثـال ذلـك هـذا الحديـثُ النبـويُّ الشـريفُ الـذي نحن بصَدَده.

قولـه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ» إذن نبدأ بالعقيدة، نبـدأ بالإيمان بـالله وبالإيمان بالوحي وبالرُّسـل وبالأوامـر والنواهِي والتكليف وباليـوم الآخـر الـذي فيـه الحسـاب، الثـواب والعقـاب، إذا كنـتَ تؤمـن بهذه المنظومـةِ وبهـذه العقيـدةِ وبهـذه الرؤيـةِ الكُلِّيَّـة التي تتحكَّـم في سـلوكك وفي حياتـك، فعليـك أن تقـول: خيـرًا أو تصمت، وعليـك أن تُكرِم جـارَكَ، وعليك أن تُكـرِم ضيفَكَ، أربعون خصلةً أعلاهـا مَنِيحَةُ العَنْزِ، العامـل بواحدٍ منها رجاءَ

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: (١/ ١٦٨).
(٢) رواه أحمد في مسنده: (١٤/ ٥١٢).

ثوابِهـا وتصديقَ موعودِهـا أدخلَه الله بها الجنة، هناك قائمـة من الخيرات أعلاها مَنِيحَةُ العَنْزِ[1].

مَنِيحَـةُ العَنْزِ: أن تمنـح عنزتك لجارك من أجل أن يحلبها، ثم يستفيد من لبنهـا ويردها إليك كما هي ليست منقوصة في شيء منها آخر النهار، هذه أعلى خَصْلَـة من أربعين خصلـةً، إذا فعلتَهـا وصدَّقت بوعدها عند ربك وبموعودها يوم القيامة تدخل الجنة، ولذلك جلس الصحابة الكرام يتدارَسـون هذه الصفات التي تُدخلهم الجنة فوجدوا أنهم لم يستطيعوا عدَّ ما دون منيحة العنز إلا خمس عشـرة خَصلةً فقط، منها التبسُّم في وجه أخيك، ومنها التساهُل في النقدين، ومنها أن تـدلَّ شـخصًا على الطريق، ومنها أن تصنع لأخرق -أي شـخص لا يسـتطيع أن يضع الخيط في الإبرة-. مسائل عجيبة وغريبة وسـهلة لكنها مرتبطة بالعقيدة، فلأنك آمنتَ بالله، وبالوحي، وباليوم الآخر، وبالحسـاب وبالعقاب، وبفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولأنـك صدقت ربك وفعلت هـذا مُخلصًا النيَّةَ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ راجيًا موعـودَهُ: فإنك تكون بذلـك قد قَرُبتَ من الجنة، وبذلـك فعلت الخير لوجه الله تعالى، فيربط الحديث دائمًـا الأخلاق بالعقائد، ولذلك فليقل خيرًا أو ليَصمُت، فهذا الذي يؤمن بالله واليوم الآخر.

فإمـا أن تكون لك شـفاعة في الخيـر فتتكلم وإلا فلا، لكن نهانَا رسـولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عـن الوقيعةِ بين النـاس، ونهانَا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحِقد، والحَسـد، ونهانا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا عن إيذاء جارنا وإيذاء الناس، إما

---

(١) عـن عبد الله بن عمـرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَـةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَـةُ العَنْـزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَـلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَـا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَـا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّـةَ». أخرجـه البخاري باب: فضـل المنيحـة (ج٣/ ص١٦٦)، (منيحة العنز) أنثى العنز تُعطى ليُنتفَع بلبنها ثم تُردُّ.

بألسنتنا أو بالسخرية أو بالاستهزاء أو بالغيبة أو بالنميمة، ولكن قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» إذن الصمت علاج مَنْ غَلَبَتْهُ نفسُه وأراد ألا يَخرجَ من لسانه شيءٌ يُحَاسَبُ عليه يوم القيامة فليقل خيرًا، فقد أمرك بالأمر بالمعروف، بالنهي عن المنكر، بالنصيحة، وبتلاوة القرآن، والذِّكر، والموعظة، والدعاء والضراعة لله، فأمرك بكل ما يَخْرُج من اللسان من عِمارة الدنيا، ومن تَزكية النفس، ومن البيان.. ونهاك عن أضْدادِها، وعن السبِّ والقذف، وعن الغيبة والنميمة، والبهتان، وشهادة الزور، والكذب واللغو، وعن كل ما يخرج على غير جهة الخير.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**» والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[1] بمعنى أنه يجعله من الورثة أو يجعله من ذوي الأرحام، فقد لا يزورني ابن عمٍّ لي أو ابن خالٍ لي المُدد الطويلة. ولكن جاري هو مُغيثي الذي أستغيث به وقتَ المِحَن، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِن لِي جَارًا يُؤْذِينِي، فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجْ مَتَاعَكَ فَضَعْهُ عَلَى الطَّرِيقِ. فَأَخَذَ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ فَطَرَحَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ كُلُّ مَنْ مَرَّ بِهِ قَالَ: مَالَكَ؟ قَالَ: جَارِي يُؤْذِينِي. فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، اللَّهُمَّ أَخْزِهِ! قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ، وَقَالَ لا أُوذِيكَ أَبَدًا**»[2].

وهنا استعمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضغط الاجتماعي على هذا الذي لا يريد أن يكرم جارَهُ ولا أن يكفَّ عنه أذاه.

---

(١) رواه البخاري: باب: الوصاة بالجار: (٨/ ١٠).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ: الْأَدَبِ، عَنْ أَبِي تَوْبَةَ الرَّبِيعِ بْنِ نَافِعٍ.

وقولـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَمَـنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْـرِمْ ضَيْفَهُ»** وكـرم الضيافة عطاءٌ، وإظهارٌ للحب، وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُدُّهُ من مكارم الأخـلاق، فكان يتبسَّـم عندما يتذكَّر عبد الله بن جُدعـان الذي كان يُكرِم ضيوف الرحمـن في مكة، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفرح بذلك، فسـألته عائشـة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: قَالَتْ: «**قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَخْبِرْنِي عَنِ ابْنِ جُدْعَانَ. قَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَمَا كَانَ؟ قَالَتْ: قُلْـتُ: كَانَ يَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ، وَيُكْرِمُ الْجَـارَ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيَصْدُقُ الْحَدِيـثَ، وَيُوفِي بِالذِّمَّةِ، وَيَصِـلُ الرَّحِمَ، وَيَفُكُّ الْعَانِي، وَيُطْعِـمُ الطَّعَامَ، وَيُؤَدِّي الْأَمَانَـةَ. قَـالَ: هَلْ قَالَ يَوْمًا وَاحِدًا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِـكَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ؟ قَالَتْ: لَا. وَمَا كَانَ يَدْرِي مَا جَهَنَّمُ. قَالَ: فَلَا إِذًا**».[1]

وجاءتـه بنت حاتم الطائي وأكرمها وقـال لها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أباكِ يحب مـكارم الأخلاق فطمعت في نجاة أبيهـا وقالت: أهو في الجنة؟ قال: لا، كان يفعل ذلك عن سُـمْعة يتسـمَّعُها**»، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبشُّ ويضحك ويفرح عند ذِكر عبد الله بن جُدعان وذِكر حاتم الطائي، إلا أنهما لم يكونا على الإسلام.

❁❁❁

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده: (٨/ ٢٨٣).

الحَديثُ السادسَ عَشَرَ

عنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لا تَغضَبْ، فَرَدَّدَ مِرارًا، قَالَ: لا تَغْضَبْ**» رواه البخاري.

الشَّرحُ

وفي روايةٍ أخرى لهذا الحديث أنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ**» والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يغضب لأمر من الدنيا قط، وكان يقول فيما يرويه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الشَّـدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّـدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَـهُ عِنْـدَ الغَضَبِ**»، وكان النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعطينـا فكـرة الصدمـة الأولى، وأن الإنسـان يجب عليه أن يتنبه إلى نفسـه وألا يجـزع أو يغضب أو يحزن في الصدمة الأولـى، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: «**مَرَّ النَّبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِـي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَـالَ: اتَّقِي اللهَ وَاصْبِـرِي قَالَتْ: إِلَيْـكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَـبْ بِمُصِيبَتِي. -وَلَـمْ تَعْرِفْهُ- فَقِيلَ لَهَا: إِنَّـهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَـمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَـتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَـالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَـةِ الأُولَى**»[1]، وكذلك في أمور كثيـرة يظهر معدِنُ الإنسـان عند الصدمة الأولـى، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما كان يغضب كان يغضب لشـرع الله لأمر ربـاني يُنتهَك من قِبَلِ الناس، فكان لا يغضب إلا لذلك.

وهذا الحديثُ من القواعد الأساسـيَّة في السـلوك إلـى الله، وأنت حينما لا تغضب وتعتاد نفسُك عدمَ الغضب؟ فإنك لا تُخطئ، ولا ينقلب عليك الحال.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: (٢/ ٧٩)، بَابُ: زِيَارَةِ القُبُورِ.

فكثير من الناس يكون صاحبَ حقٍّ، فعندما يغضب يضيع منه الحقُّ؛ لأن الغضب يُعمي ويُصِمُّ، ويجعل الإنسان يتصرَّف تصرفاتٍ غيرَ لائقةٍ وغيرَ مقبولةٍ.

ولذلك روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ! قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ»[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[2].

فهنا ظاهر الحال أمام الناس أنَّ أبا بكر هو الضعيف، وأنَّ هذا الرجلَ الذي يشتد عليه في الكلام هو القوي! ولكن الحقيقة غير ذلك، فقد كان أبو بكر معه ملَك من عند الله فهو القوي، وهذا الرجل المسكين يُورِّطُ نفسه كلَّ حين فهو الضعيف، ولذلك يجب علينا أن نتمسَّك بهذه الأخلاق النبويَّة المصطفويَّة؛ لأن الخير فيها، ولأننا سنرى هذا الخير ولو بعد حين، ولأننا لو دُمنا عليها لرأينا ثمرتَها في قلوبنا وفي أنفسنا وفيمن حولنا من الناس.

❁❁❁

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١٥/ ٣٩٠).

(٢) سورة الحج الآية: (٣٨).

الحَديثُ السابعَ عَشَرَ

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَـدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**» رواه مسلم.

الشَّرحُ

إن أول حديث في المجالس الحديثية يُحَدِّثه المُحدِّث لتلامذته: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ -يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّـمَاءِ**»[1]- روايتان عن عبد الله بـن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهنا أمَرَنَا أن نرحم مَن في الأرض.

ومَن في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ**» يدخل فيها العاقل وغير العاقل، بل قد يدخل فيها الجماد! فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرحم الجماد، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْطُبُ عَلَى جِذْعٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ حَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاحْتَضَنَهُ وَقَالَ: لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».[2] الجذع يحنُّ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله يرحم الجذع وينزل فيحتضنه!!

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**» فكل شيء كُتِبَ عليه الإحسان.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: (٣/ ٣٨٨)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الْمُسْلِمِينَ.

(٢) أحاديث عفان بن مسلم الصفار: (١/ ١٤٩).

قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**» هناك بعض المخلوقات التي خلقها الله اختبارًا لنا، مثل الحشرات الضَّارَّة المؤذية، كالذباب والصراصير والنمل المعتدي على الإنسان، أشياء من هذا القبيل يجوز قَتْلُها ولكن بلا عذاب، فلا تعذبها، وإنما أحسن قِتْلَتَهَا، فالإنسان عندما يُحكَم عليه بالقصاص أو بالإعدام فإننا نُعْدِمُه، ولكن بطريقة إنسانية، «**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**» سواء كان ذلك للإنسان أو للحيوان أو للحشرات المعتدية المؤذية الضارَّة، نعم من أجل عمارة الأرض وسلامة الناس، ومن أجل صحتهم، ولكن بإنسانية، ورُقي، ورحمة.

قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ**» والقِتْلة والذِّبحة اسمٌ للهيئة، فلا بد أن تكون الهيئة رحيمة، ولذلك قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**» يعني لا نحدُّ السِّكِّين أمام الذبيحة، بل بعيدًا عنها، فهذه رحمة تجاوزت الإنسان إلى الحيوان إلى الأكوان، وهذه حقوق الأكوان في الإسلام، وهي أكبر وأعظم من الاقتصار على حقوق الإنسان في أي فكر كان.

❁❁❁

الحَديثُ الثامنَ عَشَرَ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح.

الشَّرحُ

هذا الحديث يُعدُّ من الأحاديث الأُمَّات؛ أي: المفاتيح والقواعد والأركان في دين الله. وتقوَى الله تعالى مأمورٌ بها في صدر الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] وتقوى الله تعالى مأمور بها في هذا الحديث في كل وقت وحين، فإذا اتقَى الإنسانُ اللهَ فإنه يُعَلِّمُهُ، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾[2] ولقد شاهدنا الأتقياء الأنقياء وبضاعتهم من علوم الدنيا قليلة، ومع ذلك فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علَّمهم الأدب وعلَّمهم السلوك، وعلَّمهم قواعد الطريق إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلَّمهم كيف يتعاملون مع الناس، وكثير ممن حصَّلوا المعلومات في المدارس ليس لديهم هذا النجاح في الكون، وأدرك ذلك الشاعر أحمد شوقي أمير الشعراء، فقال في قصيدة له تُسمَّى (كتابي):

وَكَم مُنجِبٍ في تَلَقِّ الدُرو ... سِ تَلَقّى الحَياةَ فَلَم يُنجِبِ

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٨٢).

نعم نقول إنه كَمْ من متواضعٍ في تلقِّي العلم اتقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلَّمه كيف يكونُ بين الناس كالوردة، فكلُ الناس تُبادِله المحبَّة، وقد أحاطه النجاحُ وحالفه التوفيقُ في معاملاته مع الناس بالرغم من قِلَّة بضاعته في العلم الأكاديمي.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ» وهنا اعتبر الزمان والمكان، مع كل الأشخاص وفي جميع الأحوال.

التقوى: يُعَبِّرُ عنها سيِّدُنا عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعبيرًا حسنًا فيقول: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[1].

فالتقوى معناها: أن يلتفت الإنسان إلى قلبِه وأن يكون حذِرًا من المعصية وفي المقابل مستعدًّا لأن يُسارع في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: مَا التَّقْوَى؟ قَالَ: أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعْتَ؟ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُ الشَّوْكَ عَدَلْتُ عَنْهُ أَوْ جَاوَزْتُهُ أَوْ قَصُرْتُ عَنْهُ قَالَ: ذَاكَ التَّقْوَى[2].

فعندما يكون هناك شكوك في الطريق، فإن الإنسان يكون حريصًا ألا يصيبَ الشوكُ قدمه، وألا يصيبَ ثيابَه، لأنه يؤذيه فيكون حريصًا على البُعد عن كل شيء يؤذي.. هذه هي التقوى وهكذا أنت تتقي من أجل البعد عن الأذية، وتقوى الله أن تبتعد وأن تتقي المعاصي وأن تحذر كل ذلك.

قال ابن المعتز، وقد أُخذ هذا المعنى من كلام أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خَلِّ الذنوبَ كبيرَها ... وصغيرَها ذاكَ التُّقَى
واصنَعْ كَمَاشٍ فوقَ أر ... ضِ الشوكِ يَحذَر ما يرَى

(١) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد (ج١/ ص٤٢١) لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي.
(٢) الزهد الكبير للبيهقي: (١/ ٣٥٠).

لا تَحقِرنَّ صغيرةً إنَّ الجبالَ مِن الحصَى

وصار هذا البيت مثلًا: (لا تحقرن صغيرةً إن الجبال من الحصى)، فالتقوى أن تخاف من الجليل، وأن تبتعد بذلك عن كل المعاصي، وأن تعمل بالتنزيل، فبعد ابتعادك عن المعاصي تفعل الأوامر وأن ترضَى في حياتك بالقليل، وأن تستعدَّ ليوم الرحيل بفعل الطاعات.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**» والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١) فالحسناتُ يُذهِبن السيئات، ولذلك أمرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائمًا إذا ما وقع أحدنا في خطيئةٍ أن يُبادِر بالتوبةِ، وأن يُبادر بالعمل الصالح حتى يمحوَ أثر هذا العمل السيئ.

جاء أحدهم إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتكى ذنبًا، فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اذْهَبْ فتَوَضَّأْ وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ**»، وجاء أحدهم إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكو ذنبًا، فأمره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصدقة، وقال: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئ الخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ**»، وأمر بالصَّدقة، وقال: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، فكلَّما يقع الإنسانُ -وهو خطَّاءٌ كثير الخطأ- في المعصية فعليه أن يُبادر بالتوبة ولا ييأس ولا يستحي حتى يؤدي به هذا الخجل إلى عدم التوبة.

«**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**» ولذلك كانت الصلواتُ الخمس كفَّارة لما بينهنَّ، وكان من رمضان إلى رمضان، ومن الجمعة إلى الجمعة، ومن العمرة إلى العمرة: كفارة لما بينها، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُ الصلوات الخمس، فيقول: «**أَرَأَيْتُم لَوْ أَنَّ نَهرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ،**

---

(١) رواه الترمذي في سننه: (٤/ ٢٤٠).

يَمْحُـو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»[١]. إذن فلا بد للإنسـان أن يبـدأ دائمًا من جديد، فعليك بتجديد إيمانك، كما عليك أن تخالق الناس بخلق حسن، وهناك حديث مسلسل بالحُسْـنِ، فعن الحسن عن أبي الحسن عن جدِّ الحسـن: (أَحْسَنُ الحَسَنِ الخُلُقُ الحَسَنُ)[٢].

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: (١/ ٤٦٢)، باب فضل الصلوات الخمس.
(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ١١٦).

الحديث التاسع عشر

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي روايةِ غير الترمذي: «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**».

الشَّرحُ

هذا حديثٌ جامعٌ يُعلِّم فيه رسولُ اللهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبرَ الأمةِ ابنَ عباس، ويُرْدِفُهُ خلفَهُ وهو صبيٌّ، وكان لَهُ لما توفي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرُ سنين[(١)]. لكنه دعا له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[(٢)]، وهو ابن عمِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد استجاب الله دعاءَ نبيه كما هي العادة، وأصبح ابن عباس من العَبادِلة الكبار الفقهاء: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو

---

(١) الإصابة لابن حجر: (٤ / ١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (١/ ٤١)، بابُ: وَضْعِ المَاءِ عِنْدَ الخَلَاءِ.

وعبد الله بن عُمر وعبد الله بن الزبير، وقد رَوَى ابن عباس كثيرًا من الأحاديث سماعًا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست مقصورةً على أربعة كما ذهب إليه بعض المحدثين، فإن الجزء الأول من صحيح البخاري صرَّح ابن عباس فيه بالسماع من رسول الله في أكثر من ستِّين حديثًا.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ»**» وهذا مقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعلِّمًا.

الكلمات:

الكلمة الأولى: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**» بعض الناس ممن حفظ الله عليهم أعضاءهم بعد بلوغ سِنِّ الشيخوخة والهرم، سُئل بِمَ هذا؟ فيظنُّ السائل أنه سيجيب أنه اتخذ الإجراءات الصحية أو ما شابه ذلك، فيقول: هذه أعضاءٌ حَفظنَاها في الصِّغر فحفظها الله علينا في الكبر، فاحفظ الله في قلبك يحفظْك من أعدائك ومن الشامتين فيك، ويحفظْك من الأذية ومن الضرر.

الكلمة الثانية: «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**» تُجَاهَكَ يعني: وجاهك، من الوجاهة يعني في وجهك أو أمامك، ولذلك في الرواية الأخرى، كما رأينا عبَّر بلفظ (أمامك) بدلًا من تجاهك، وهذا معناه أنه لا يغيب عنك، ولا يغيب عن استجابة الدعاء، فكلَّما ذكرتَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ودعوته وجدْتَه أمامك ومعك.

الكلمة الثالثة: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**» هذه الكلمة لخَّصَت كلَّ سلوك الإنسان في عَلَاقته مع الله، وفي عزته مع الخلق، لا تطلب من الخلق شيئًا، وكان أهل الله يقولون: نحن قومٌ لا نطلب ولا نرفض، فإذا جاءهم الأمر من عند الله قبلوا به، وإذا لم يأتِ لم يطلبوا من الناس، وإذا أرادوا أن يسألوا أحدًا سألوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الكلمة الرابعة: «**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[1] وهذا يلزم منك اليقظة والتوبة والالتجاء والتوجه والإخلاص لله رب العالمين، ولذلك أَلَّف الهرويُّ: (منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين) وَشَرَحَهُ الشُّرَّاحُ، ومنهم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في: (مدارج السالكين شرح منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين)، وكمال الدين القاشاني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

الكلمة الخامسة: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَكَ**» ولذلك فالحمد لله وحده.

الكلمة السادسة: «**وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**» وهي في معنَى الكلمة التي قبلها، ولذلك فلا تخف إلا من الله وتوكل على الله حقَّ توكُّله.

الكلمة السابعة: «**رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» وانتهى الأمر إلا أنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

الكلمة الثامنة: وهذه الكلمةُ زِيدت في الرواية الأخرى، «**تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**» وهذا أمر يَغْفُلُ عنه كثيرٌ من الناس، لا يتعرَّفون إلى الله في الرخاء، بل يتعرَّفون إليه في الشدة وحدَها، فإذا نزل بهم البلاءُ والمُصابُ التجؤوا إلى الله، ودون ذلك كانوا من الغافلين والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبيِّن لك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سيكون معك حين الشدة عندما تذكره حين الرخاء.

---

(١) سورة الفاتحة الآية: (٥).

الكلمة التاسعة: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ» ولذلك فتوكَّل على الله حقَّ توكُّله، وكن في رضا وتسليم لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنه لا يكون في كونه إلا ما أراد.

الكلمة العاشرة: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» هذه كلمة وحدها تُكتَب بماء الذهب، والصبر والنصر أخوان متلازمان، اصبر تنتصر، ولذلك فإن كثيرًا من الناس يسيرون بعجلة ويتعجلون النتائج في الحياة الدنيا فلا يُصابون إلا بالخِذْلان عياذًا بالله تعالى.

الكلمة الحادية عشرة: «وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» فلا تيأس من الكرب.

اشْتَدِّي يَا أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي ... قَدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالْبَلَجِ[1]

الكلمة الثانية عشرة: «وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» فعليك أن تعلم أن العُسر معه اليُسر كما أخبرنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذلك لا تيأس وأمِّل في وجه اللهِ خيرًا والله تعالى يقولُ في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[2]، ولذلك فأحسِنِ الظنَّ بربك حتى تراه أمامك وتُجاهك، فهذه اثنتا عشرة كلمة علَّمَهَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس وللأمة من بعده.

❁❁❁

---

(١) القصيدة المنفرجة لابن النحوي.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان: (٢/ ٣٢٣)، باب الرجاء من الله تعالى.

الحديثُ العِشرونَ

عَـنِ ابْـنِ مَسْـعُودٍ عُقْبَـةَ بْنِ عَمْـرٍو الْأَنْصَـارِيِّ الْبَـدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» رواه البخاري.

الشَّرحُ

هـذا حديثٌ مهمٌّ يُلخِّص لنـا خُلقًا قويمًا، أمَرنا بِهِ رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو: (الحياء) والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُـعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَـةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُـعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[1] وقـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**»[2] وهنا يُبيِّن لنا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحياءَ مـن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والحياءَ مـن النفس، روى مسـلم في صحيحـه: **أَنَّ عَائِشَـةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **قَالَـتْ**: «**كَانَ رَسُـولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَـاقَيْهِ، فَاسْـتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَـى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْـتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُـوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُـولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَسَـوَّى ثِيَابَهُ -قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ- فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَـةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَـمْ تَهْتَشَّ لَـهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَـلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَـشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُـمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْـتَ وَسَـوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: أَلَا أَسْـتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْـتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[3].

كان عثمـان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غنيًّـا، ولكنه كان حيِيًّا؛ أي كان يسـتحي كثيـرًا من الله، وكان

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (١/ ٦٣)، بَابُ: شُعَبِ الْإِيمَانِ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمران بن حصين: (١/ ٦٤)، بَابُ: شُعَبِ الْإِيمَانِ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ١٨٦٦)، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يستحي كثيرًا من الناس. وهذا الحياء خيرٌ كلُّه في الدنيا وفي الآخرة، تلهَجُ الناس بذِكر ذي النورين عثمان بن عفان من حيائِه، وهنا يُبيِّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الحياءَ أمرٌ قديم أُمِرنا به في كل شريعة، وجاء به كل نبي، وكان ديدَنَ الأنبياء وكان خُلُقَهُم. والحياءُ أنواعٌ، منه الحياء مع الله ومنه الحياء مع النفس ومنه الحياء مع الناس.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**النُّبُوَّةِ الأُولَى**» يعني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه كان نبيًّا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» فسبب كل الفجور هو عدم الحياء، وسبب الانحراف هو عدم الحياء، وسبب بقاء الجهل وبقاء المرض وبقاء البطالة وبقاء النِّزاع في المجتمعات هو عدم الحياء؛ لأن المجتمع إذا استحيا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعمل على إزالة المنكرات وإزالة الجور من المجتمع، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ**»[1] لأنه ليس عنده حياء، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بتعليم الجيران، ويغضب عندما يتراخَى أحدهم في تعليم جيرانه.

«**إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» فبلاء العصر الذي نحن فيه، انعدام الحياء، ففي شهر رمضان وهو شهر التقوى وشهر العبادة والصيام والصلاة والذِّكر والقرآن بالليل وبالنهار، يتحوَّل إلى هجومٍ كاسح من المسلسلات! التي تصل إلى أكثر من ثلاثمائة مسلسل في العام، لِمَ لا يختارون شهرًا آخرَ مثل شهر يناير ويجعلونه للاحتفال بهذا البلاء؟

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي: (٥/ ٧٦).

إذا تكلَّمت هكذا هبَّ فيك القريب والبعيد، متجرِّدين عن الحياء. فليس هناك حياء للعدوان على الوقت الذي خُصِّصَ في رمضان لمراجعة النفس لصَقْل القلب بجرعات الإيمان، ومن لا حياءَ له فليصنع ما شاء.

❁❁❁

الحَديثُ الحادِي والعِشرونَ

عَـنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْـدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؛ قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» رواه مسلم.

الشَّرحُ

كانـت الصحابة الكـرامُ تحبُّ دائمًـا المفاتيح التي يفعلها الإنسـان فيفعل الدينَ كلَّه، ولذلك كانوا يسـألون رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أحبِّ الأعمال إلى الله، وكانت إجابة رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تختلف كل مرة عن الأخرى بحسب السائل، فمرَّة يقول: أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، ومرَّة يقول: أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُبْحَةُ الحَدِيثِ، ومرة يقول: أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ بِرُّ الوَالِدَيْنِ، ومـرَّةً يقـول: أَحَـبُّ الأَعْمَـالِ إِلَى اللهِ الجِهَـادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وكذلـك هنا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُـلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْـتَقِمْ» الإيمان بالله والعمـل الصالح مفتاحٌ يمكن للإنسـان إذا ما تمسَّـك به أن يستديمَ، وأن يفعل الخير كلَّه والإسلام كلَّه، فالإسـلام كالدائرة، حيثمـا وضعتَ يدَكَ على أيِّ مدخل مـن مداخله وأي حكم فيه وأتقنتَه رأيتَ الإسلام كلَّه أتقن لك، فابدأ مثلًا بذِكر الله قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَـزَالُ لِسَـانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(١) تجد أنَّ الإسـلامَ كلَّـه أصبحَ بينَ يديك، فابـدأ بالصلاة أو بالجهاد أو بِبِرِّ الوالدين أو بحُسـن الخُلق أو بالاسـتقامة، فإنك تجـد الإسـلام كلَّه قد جاءك وفعلته شيئًا فشـيئًا، فهذه المفاتيـحُ كانت الصحابة الكرام تسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾(٢).

---

(١) رواه الترمذي: (٥/ ٣١٨)، بَاب: مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الذِّكْرِ.

(٢) سورة هود الآية: (١١٢).

الحَديثُ الثاني والعِشرونَ

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ**» رواه مسلم.

ومعنى حرَّمْتُ الحرامَ: اجتنبتُه، ومعنى أحللتُ الحلالَ: فعلْتُه معتقدًا حِلَّهُ.

الشَّرحُ

قول الرجل: «**صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ**» أي: ولم يَزِد على ذلك شيئًا، وقوله: «**وَصُمْتُ رَمَضَانَ**» أي: وَلَم يَصُم الإثنين والخميس ولا الأيام الثلاثة البيض من كل شهر، ولا عاشوراء، ولا غير ذلك من المواسم الإسلامية، أو من الأيام التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصومها.

وقوله: «**وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ**» يَعنِي: فعلتُه وتوسَّعتُ فيه بمعنى أنه تمتَّع بكل شيء حلال.

وقوله: «**وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ**» أي أنني اجتنبتُه وتركتُه وجعلتُه عليَّ محرمًا، كما أن الله حرَّمه، فإنني أحرِّمه على نفسي وأجتنبه، ولا أقربُه أبدًا، «**وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا**» فهذا الإنسان، وكأنه فعل ذلك وتمسَّك به مؤمنًا بالله، لكنه لم يجعل لنفسه حصَّةً من الذِّكر ولا حصَّةً من القرآن ولا حصَّةً من الزيادة على الفروض، «**أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ**» وفي هذا المعنى، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن لنا أن الإسلام بُني على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان، وهو حديث مرَّ معنا في أول الأحاديث الأربعين النووية.

روى مسلم في صحيحه من حديث سيدنا طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ،قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَاللَّيْلَةِ. فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: لا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ. فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: لا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ. قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ، لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»[1]، أي: إن صدق ذلك الرجل واستطاع أن يحافظ على أركان الإسلام -وسُميت أركان الإسلام؛ لأنها الحدُّ الأدنى، فهي الأساس- فإنه يدخل بذلك الجنة.

هذا الحديث يجعلُنا لا نتكبَّر بعباداتنا على الآخرين، ولنعلمَ أن هذا الذي قد نتكبَّر عليه بعباداتنا أو بكثرتها قد يسبقنا في دخول الجنة، وقد يكون أكثرَ رضا عند الله مِنَّا، وأنه محل نظر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكثر منَّا، ولذلك فهذا الرجل الذي سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحد الأدنى سأله عن حِلِّ الحلال وحُرمةِ الحرام، وأنَّ هذا هو الذي يُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأباح لنا في هذا الحديث أن نتمتَّع بكل ما أرادَه الله لنا من الحلال، ولذلك فدين الإسلام واسع.

في بعض الأحيان نترك شيئًا من الحلال خِيفةَ أن نقع في الحرام، وهذا شعورٌ طيِّب يُسمَّى بالورَع، وكانت الصحابة الكرام تترك سبعين بابًا من أبواب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: (١/ ٤٠)، بَابُ: بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

الحلال خِيفةَ أن تقع في باب من أبواب الحرام، هذا الورع بخلاف حدِّ الحلال والحرام، وهذا الحديث يبين لنا هذا المعنى، وهو أن هناك فارقًا بَيْن حدِّ الحلال والحرام، والذي إذا ما التزم به الإنسانُ دخل الجنةَ، وبَيْن التقوى وزيادة الورع والذي لا يُضيع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أجرَ مَن أحسن عملًا فيها، ولا يضيع الله أجرَ المحسنين.

التفرقة بين حدِّ الحلال والحرام وبين حدِّ الورع تحكَّمَتْ في أذهان الفقهاء وفي أذهان كثير من المسلمين، لكنها أيضًا فُقِدَت عند كثير من المسلمين للأسف، فُقِدَت عندهم لأنها لم تعد واضحةً في أذهانهم، فرأينا من يتنطَّع ويتشدَّد في دين الله، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[1] قَالَهَا ثَلَاثًا[2].

ويقول: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**»[3] وينهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التشدُّد، وينهى عن أن تخرج عن سُنَّته في العبادة فيقول: «**وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[4] ويقول: «**خُذُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[5].

❁❁❁

---

(١) المتنطعون، أي المتعمِّقون الغالون المُجاوزون الحدودَ في أقوالهم وأفعالهم.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢٠٥٥)، بَابُ: هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.

(٣) تقدم تخريجه في شرح الحديث التاسع من هذه الأربعين.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧/ ٢)، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣/ ٣٩)، بَابُ صَوْمِ شَعْبَانَ.

الحَديثُ الثالثُ والعِشرونَ

عَـنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْـعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَـطْرُ الإِيمَـانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّـهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْـدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ: تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّـمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَـانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**» رواه مسلم.

الشَّرحُ

هـذا حديث عظيـم جمع بين أمورٍ كثيـرة مهمَّة في دين الله، «**الطُّهُورُ شَـطْرُ الْإِيمَـانِ**» ولذلـك فـإن الوضوء مهـمٌّ ولذلك فهـو سلاح المؤمـن، سلاحُه ضد نفسـه وضـد الدنيـا والهـوى والشـيطان، فإذا حلَّـت به الـصلاة، فإنـه يصلي في أي مـكان كان مـا دام متطهـرًا، والنبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقـول: «**جُعِلَـتْ لِـيَ الْأَرْضُ مَسْـجِدًا وَطَهُـورًا**»[1] وذِكـرُ الله بـه تطمئـن القلـوب: ﴿أَلَا بِذِكْـرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2] ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْـكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3] ﴿وَٱذْكُـرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُـمْ تُفْلِحُونَ﴾[4] والنبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنبِّهنا إلى الكلمـات العشـر الطيبات: سـبحان الله، والحمـد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسـمَّاها بعضُهم الباقيات الصالحات، كذلك أستغفر الله، وحسـبنا الله ونِعـم الوكيـل، وإنـا لله وإنا إليـه راجعون، وتوكلـت على الله،

(١) رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء: (٥/ ١١٧).

(٢) سورة الرعد الآية: (٢٨).

(٣) سورة البقرة الآية: (١٥٢).

(٤) سورة الأنفال الآية: (٤٥).

والصلاة على سيدنا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذه عشر كلمات علَّمَنا إياها الشرع الشريف.

وقد أكَّد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أيضًا الصلاة واعتبرها نورًا، والصدقة؛ لأنها تُذهِبُ الخطيئةَ وتُطفِئُها كما يُطفئ الماء النار، «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» ولذلك رأينا في دعاء الصالحين: اللهم اجعل القرآن حجةً لنا ولا تجعله حجةً علينا، يتأوَّلون هذا الحديث.

قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو**» يعني: يذهب إلى السوق «**فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**» أي فمُعتِقها من النار أو مُهلِكها، نسأل الله السلامةَ ونرجو من الله أن نكونَ من عتقائه، اللهم آمين.



الحَديثُ الرابعُ والعِشرونَ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رواه مسلم.

الشَّرحُ

هذه رواية عن الله عَزَّوَجَلَّ والرواية عن الله تُسمَّى بالحديث القدسي، وهي تختلف عن القرآن؛ لأنه لا يجوز أن نقرأه في الصلاة، والقرآن يُقرأ في الصلاة، وتختلف عن الحديث النبوي الشريف؛ لأن الحديث النبوي الشريف، إنما صدر

من لفظ ومن كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن هذا على أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويُروى عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو من كلام الله إلا أنه ليس قرآنًا.

فقوله: «يا عِبادِي» هذا كلامٌ صدر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو من الوحي وهو من كلام الله، ولكنَّه ليس من القرآن.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: «**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا**» وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»[1] ويقول: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[2].

قوله عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**» والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[3]، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[4].

ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[5] ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: (٤/ ١٩٩٦)، بَابُ: تَحْرِيمِ الظُّلْمِ.

(٢) مستخرج أبي نعيم الأصبهاني على الجامع: (١/ ٣٤١).

(٣) هذا الحديث هو الحديث التاسع عشر من الأربعين.

(٤) رواه الترمذي في سننه: (٤/ ٢٤٠).

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني: (٤/ ٢٠٧٥)، بَابُ: اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ.

حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبُ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ» هكذا بالضم في رواية البخاري.

قوله عَزَّوَجَلَّ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي» حاشا لله، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي بيده الضُّرُّ وبيده النفع، وهو رحيم بعباده، ولكنه لا يناله منّا ضرٌّ ولا نفعٌ.

قوله عَزَّوَجَلَّ: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا» فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا ينتفعُ بشيء مِن تقوانا، هَبْ أنَّ كلَّ الناس من الجن والإنس أتقياء ما الذي يزيد أو ينقص في ملك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من ذلك؟ لا شيء، إنما نحن ننفع أنفسنا، «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا».

قوله عَزَّوَجَلَّ: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي» أي: فلو أن كل الأرض وقفتْ بإنسِها وجنِّها صفًّا واحدًا يدعونني «فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» المخيط هو الإبرة، وهي إذا غمست في البحر لا تأخذ منه إلا بَلَلًا، فهكذا لو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ استجاب دعاء كل العالمين، وكل واحد منهم يقول: يا رب أعطني ملك الأرض، أو يا رب أعطني عشرة أمثال الأرض، أو يا رب أعطني مُلك الأولين والآخرين، فأعطي كل واحد منهم مسألته، فما الذي يَنقُصُ من ملكه جل جلاله؟ لا شيء، مثل هذه الإبرة التي تُنقِصُ البحر بَلَلَها.

«**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ**» إذن القضية تنفعنا نحن «**ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**» لأنه خلق فينا العقل، وخلق فينا الاختيار، وأمَرَنا ونَهانَا وأرْشَدَنَا ورَحِمَنَا وبيَّن لنا وهدانا، ثم بعد ذلك إذا قصرنا فلا يلومن أحدُنا إلا نفسه.

۞۞۞



الحَديثُ الخامسُ والعِشرونَ

عَـنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا: «أَنَّ نَاسًـا مِنْ أَصْحَـابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَـةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْـرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَـرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُـولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُـمْ لَوْ وَضَعَهَا فِـي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِـكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» رواه مسلم.

الشَّرحُ

في هـذا الحديـث يَشـكُو أهـلُ الفقر إلـى رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهلَ الغنـي «أهـل الدثور» ذهبوا بـكل الأجر، وذلـك أن لديهم أموالًا يسـتطيعون أن يتصدَّقـوا بهـا، والفقراء ليس لديهم هذه الأمـوال، والنبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّمهم أن الصدقـةَ تُطفئ الخطيئـة كما يُطفئ الماءُ النارَ، وأن يتقوا النار ولو بشِـقِّ تمرةٍ، وفي ذلـك تقـوى الله، وعلَّمهـم أن الصدقة شـيء عظيم، ولذلك فقـد نظروا إلى الأغنياء وسـألوا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا الأمر، ورسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّـن لهم أن هناك مسـاواةً بين الأغنيـاء وبين الفقراء عنـد الله، وأن الفقير في فقره يسـتطيع أن يعبـدَ اللهَ كمَا يفعل الغنـيُّ، وقد يكون أكثرَ مما يفعـلُ الغنيُّ، ولذلك أرشـدَهم إلى الذِّكر وأرشـدَهم إلى توجيـه النيَّة في الأعمال كلها، أمـا الذِّكْر فقدِ امتدحَـه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه وأمر به ونوَّع أقسامَه للمؤمنين: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ

تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[١]، ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[٢]، ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[٣]، ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٤].

وهنا أمَرَهُم بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وجعل ذلك كأجر الصدقة تمامًا، وأما الإخلاص، فقد أمَرَهُم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنيَّة الخالصة «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٥] قال تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[٦]، وعلى ذلك يسير المؤمن في طريقه إلى الله، وهو يشعر بأن الله لا يظلمه وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُضيع أجر المحسنين. فهذا حديث عظيم يُكَوِّنُ عقليةَ المسلم، وأنه في كل حالٍ من الغِنَى ومن الفقر فإنه يستطيع أن يكون قريبًا من الله، وأنه بالنيَّة يوجِّه الأعمال، وتَمَيَّزَ الصحابةُ في هذا التوجيه، فإنهم كانوا يُلحقون كل مندوب بالواجب، فيفعلونه كأنه واجب، ويلحقون كل مكروه بالحرام فيبتعدون عنه كأنه حرام، ويذهبون إلى المُباح ويوجهونه حسب الحال بالنيَّةِ لله رب العالمين، فإذا كان عند أحدهم ثوبٌ جميل عظيم المقدار يلبسه إظهارًا لنعمة الله عليه، وحتى يتعرَّض له الناس بطلب قضاء حوائجهم، وحتى يأخذَ زينته عند كل مسجد: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

(١) سورة الرعد الآية: (٢٨).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٥٢).

(٣) سورة الأحزاب الآية: (٣٥).

(٤) سورة الأنفال الآية: (٤٥).

(٥) هذا الحديث هو الحديث الأول من هذه الأربعين.

(٦) سورة غافر الآية: (١٤).

﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(١)، وحتى يفعل كذا وكذا من النيَّات الصالحات الكثيرات، وإذا لبس ثوبًا متواضعًا، فإنه ينوي إظهار التواضُع لله، وعدم كسر خاطر الفقراء، وستر العورة، وغير ذلك من النيَّات الصالحات، كانوا دائمًا يوجهون المباح بنيَّات وبإخلاص.

هذا حديث عظيم وجَّهنا فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن الإنسان سواء أكان غنيًّا أو فقيرًا، فإنه يستطيع أن يكون قريبًا من الله، ولمَّا سَمِعَ أهلُ الدُّثور بمثلِ هذا الحديث ذهبوا وداوَمُوا على التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل.

فذهب أهل الفقر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّةً أُخرى بعد هذا الحديث يَشكُون أهل الدثور ويقولون: يا رسول الله، لقد سمع أهل الدثور ما قُلتَ فبدأوا في التسبيح وفي التكبير وفي التحميد وبذلك أصبحوا أيضًا في حالة أخرى لا نستطيع أن نُسابِقهم؛ لأنهم تميَّزوا بأموالهم التي منَّ الله عليهم بها، فأغلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا النوعَ من التنافس بهذه الكيفية، فقال لهم: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء! إذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد وفَّق الغنيَّ لأن يكون أيضًا تقيًّا وزادَ فضلُ الله عليه فضلًا فِي العِبَادةِ، فإنَّ ذَلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ**

(١) سورة الأعراف الآية: (٣١).

الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ»[١].

فإذا كان هذا الغنيُّ يُسبِّح مائةً، فلك أن تُسبح ألفًا، وإذا كان هذا الغنيُّ يحمد مائةً، فاحمد أنت ألفًا وهكذا أبدًا، ولذلك فالمنافسة لا تتأتَّى بالشكوى وإنما تتأتَّى بالعمل.

❁❁❁

(١) رواه النسائي في سننه الكبرى: (٩/ ٣٠٢)، باب مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى.

الحَديثُ السادسُ والعِشرونَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**» رواه البخاري ومسلم.

الشَّرحُ

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ**» معناه: أنك إذا أردتَ أن تَعُدَّ نعمةَ الله عليك لا تستطيع أن تُحصِيها قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ**﴾[1]؛ فأنتَ في كمٍّ من النِّعَم لا تَقدِر على شُكر الله ولا على حمده بشيء، ولكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتحُ لك بابَ كثرةِ طرقِ الخير وتعدُّدِ أنواع الصدقات والبرِّ، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يضيع أجر من أحسن عملًا، وفي حديث البخاري: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّةَ**»[2]. والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديثه المتعدِّدة ذكر كثيرًا من هذه الخصال، وحاول شيخُنا الشيخ عبد الله بنُ الصِّدِّيق الغُماري أن يجمع هذه الخصال فألف كتابًا أسماه (تمام المنة بالصفات الموجِبة للجنة) وفي حديث مَنِيحَةِ العَنْزِ اجتمع الصحابة يتداولون ويسأل بعضهم بعضًا ما هذه القائمة التي أعلاها مَنِيحَةُ العَنْزِ؟ ومَنِيحَةُ العَنْزِ هي أنك تعطي شاتَكَ

---

(١) سورة النحل الآية: (١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣/ ١٦٦)، باب: فَضلِ المَنِيحَةِ.

لجارك يَحتلبها، ثم يُعيدُها كما هي إليك لم تخسر شيئًا، هذه على رأس أربعين صفةً كُلها أقلُّ منها؛ لأنَّها على الرأس، فما هذه الصفات؟ فما استطاعوا أن يَصِلوا إلى أكثرَ من خمس عشرة خصلةً.

قَالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ العَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً[1].

قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ**» فالإنسان إذا عدل بين أبنائه، أو إذا عدل بين جيرانه، أو كان حاكمًا فعدل بين الخصوم؛ تُعدُّ هذه المنقبةُ وهذه الصفةُ صدقةً.

قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**» فمثلًا رجلٌ لا يستطيع أن يركب الدَّابَّة فأعانه عليها، هذه له صدقة، أو أن هناك متاعًا وأنتَ تَحمِله على صاحبه، فهذا الحَمْلُ الذي لم يستغرق ثوانٍ: صدقةٌ.

قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**» وهذه الكلمة عُنوان حَياةِ المُسلم: «**وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ**» ولذلك كان السلف الصالح يَذهَبُ الواحدُ منهم إلى المسجد البعيد من أجل أن تُحسَب له خطوات أكثر، وهذا يبيِّن أهميَّة الذهاب إلى المسجد، وأن هناك ثوابًا كبيرًا يضيع على مَن يُصلي في غير المسجد.

«**وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**» فإنك بإماطتك تكون قد أنجيت كثيرًا من الناس، وقد كان من الممكن أن يُصابوا بهذا الأذى، والجريمة الكبرى على مَن يُلقي هذا الأذى! فإذا كانت إماطة الأذى عن الطريق من شُعَب الإيمان كما

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: (٣/ ١٦٦)، بَابُ: فَضْلِ المَنِيحَةِ.

رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(١). وأنتَ تُلقي الأذى!! فهذا ما سماه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمَلاعِن فقال: «**اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ**»(٢). وسُمِّيَت ملاعنَ؛ لأنها سَبَبٌ للَعْن الناس ولَعْن الملائكة ولَعْن الله لصاحبها، أي لمن يفعل ذلك.

إذن نَخلُص من هذا إلى أن طُرق الخير كثيرة، وأنواع الصدقات كثيرة.

❁❁❁

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: (١/ ٦٣)، بَابُ شُعَبِ الإِيمَانِ.

(٢) سنن ابن ماجه: (١/ ٢٩٠)، بَاب النَّهْيِ عَنِ الْخَلَاءِ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ.

الحَديثُ السابعُ والعِشرونَ

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رواه مسلم.

وعـن وابصةَ بـن معبد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتيتُ رسـولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَمَعَ أَنَامِلَهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِنَّ فِي صَدْرِي، وَيَقُولُ: يَا وَابِصَةُ، اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ» حديث حسن. رُوِّيناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدَّارمي بإسناد حسن.

الشَّرحُ

جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبُعث ليُتمِّم مكارمَ الأخلاق وقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[1] وربُّنا وصفه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، هذا الخُلُق العظيم ظهرَ في الأحاديث النبوية الشريفة الواردة إلينا منها بضعيفه وحسنه وصحيحه ومقبوله ومردوده نحو: ستين ألف حديث، هذه الأحاديث منها ألفا حديث فقط في كل الفقه والشريعة! والبقية في الأخلاق المرتبطة دائمًا بالعقائد، والتي يربطها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعبادة الله وتوحيده ورجاء ثوابه وتصديق موعوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١٤/ ٥١٣).

(٢) سورة القلم الآية: (٤).

قولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْبِرُّ حُسْـنُ الْخُلُقِ**» وحُسـن الخُلق أمَرَ به رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجمـالًا وتفصيـلًا في حديثِـه وفي الحديث المسلسـل بالحُسـن عن الحسـن عن أبي الحسن عن جد الحسن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحْسَنَ الْحُسْنِ الْخُلُقُ الْحَسَـنُ**»[1]، وهو حديثٌ فيه ضعفٌ من ناحية السَّـنَد إلا أنه مشترك مع كثيرٍ جدًّا من الشـواهد التي تؤكِّد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بحُسـن الخُلق، ومنها الحديث الذي معنا والذي رواه مسلم.

وضـدُّ البر الإثم «**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِـكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**» لأن الإنسان يتفاخَر بالبِر، بل بعضهم يرجُو أن يَرى الناسُ ذلك البِرَّ، ونحن نأمُره بأن يتخفَّى في عبادته، ولكن إذا رأى الناسُ بِرَّهُ مَدحوه، وإذا رأى الناس بِرَّه دخل السرورُ على نفسـه هو، ولكن الإثم بخلاف ذلك، فالإثمُ فَضيحة، والإثم يحوك في النفس ويَخجَلُ الإنسـانُ مِنه، ويَكـرهُ أنْ يطَّلِعَ عليه النَّاسُ، وأمرنا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقُرب من البرِّ وبالبُعد عن الإثم.

أمـا الحديث من روايـة وابصةَ بنِ معبد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -بهذا النص وهذا السياق الذي ذُكر- حَسنٌ رُوِيَ في مسند الإمام أحمد، وفي مسند الإمام الدارمي رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى وإسناده حسـن، «**الْإِثْـمُ مَا حَاكَ فِـي النَّفْسِ**» هذا ملخَّـص الموقف الذي يتخذه المسلم في طريقه إلى الله.

❁❁❁

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٦.

الحَديثُ الثامنُ والعِشرونَ

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الشَّرحُ

وهذا الحديث هو وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه أنه أمرنا بتقوى الله، وهو الذي كان يقول: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1] وفيه السمع والطاعة، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا بالجماعة، ويأمرنا أن نكون معًا في طريق واحد، أمرنا بالجماعة حتى قال: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[2]، ونهانا عن الفُرقة، ثم بيَّن لنا أن من سُنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في خَلْقه أنهم لا يطيعون هذه الجماعة، ولا هذا الاعتصام، وأن اختلافًا كثيرًا سيحدث بعد

(١) سنن الترمذي: (٣/ ٤٢٣)، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٩/ ٤٧)، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا».

ذلك، فماذا نفعل في ظلِّ هذا الاختلاف؟ وكيف نتعامل معه؟ «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**» والخلفاء الراشدون هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهؤلاء هم الذين طبَّقوا هذا الدين بصورة واضحة.

قوله ﷺ: «**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» والنواجِذُ هو الذي نُسميه في عصرنا بضرس العقل، وهي الأضراس الأربعة التي تكون في نهاية الأسنان، والعَضُّ بالنواجذ فيه معنى القوة والتمكُّن وأننا لا نترك الأمر هكذا، فالمخرج من الخلاف أن نذهب إلى سنة النبي ﷺ وسنة النبي التي تشتمل على منهج حياة يمكنك أن تُسمِّيه فقه السيرة أو فقه السُّنَّة، وتشتمل على جزئيات قد يرتبط بعضها بالزمان وقد يتجاوز بعضها الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، ولكن علينا أن نجعل السُّنَّة حُجَّة ومرجعًا ومَوئِلًا لنا جميعًا نتحاكم إليها، لأن النبي ﷺ كان يقول: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[1].

قوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**» أي التي تخالف الشريعة. ومرَّ معنا حديث: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**».

قوله ﷺ: «**فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» لأنها تُخالِف الشريعةَ وتُخالف أصول الدين.

❁❁❁

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (٤/ ٢٠٠)، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ.

الحَديثُ التاسعُ والعِشرونَ

عَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[1] حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الشَّرحُ

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ» كان الصحابةُ حريصين على هذا المعنى، فتعلَّقت قلوبُهم بطاعة الله، وتعلَّقت قلوبهم كذلك بالخوف من غضب الله، والحالة أنهم يعرفون أنَّ رِضا الله يُدخلهم الجنَّة، وأنَّ غضبَ الله يُبعدهم عن الجنة.

---

(١) سورة السجدة الآية: (١٦).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ سَأَلْتني عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ**» إذن فَرَضَ علينا أركانَ الإسلام، ثم رغَّبنا في النافلة مِن بَعدِ ذلك فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ**»، ولذلك كان سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُداوِم على صيام الإثنين والخميس من كل أسبوع، ومن سُنَّتِه أنَّه كان يَصومُ الأيامَ البِيض أو الليالـيَ البِيض، وسُمِّيَت بِيضًا؛ لأن البدرَ يكتمل فيها ويُنير ليلَها، وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر، تبدأ بوتر وتنتهي بوتر، وكان كثيرًا ما يصوم السبتَ والأحدَ، ولكنه لم يكن يُديم ذلك، وكان كثيرًا ما يصوم المُحرَّم، وكثيرًا ما يصوم شعبانَ، وكان يصوم يومَ عاشوراء، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا؛ يَعْنِي عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللهُ فِيهِ مُوسَى، وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ «**أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ**» فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ(١). وكان يصومُ التسعةَ الأيام الأُولى من ذي الحجة، وكان يأمر بصيام يوم عرفة، وأنَّه يُكفِّرُ السَّنةَ التي مَضت، وأنه خيرُ أيامِ السنةِ، كما أنَّ ليلةَ القدر هي خير ليالي السَّنَة، إذن فصيام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان خارج رمضان كثيرًا، فلو أنه ثبت عنه إتمامه للمُحرَّم وإتمامه لشعبان وهناك مائة يوم تقريبًا عدد الأسابيع في الإثنين والخميس، والمائة يوم هذه بثلاثه شهور، ونلحظ أنه كان يصوم مع ذلك ثلاثةَ أيامٍ من كل شهر في أحد عشر شهرًا خلا رمضان، وستةَ أيام من شوال يتم بها صومَه في رمضان، فإننا نَصِلُ إلى أنه وكأنه

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: (٤/ ١٥٣)، بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه: ٩] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

كان يصوم ستة أشهر، وهذا كما رُوِيَ «أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَقُولُ: وَاللهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ: وَاللهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ؟ قُلْتُ: قَدْ قُلْتُهُ. قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ. فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ. قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ. قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»[١].

ولو جَمعنا صِيامَ رَسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتفرِّق لوجدناه أنه صام نصف السنة، صام يومًا وأفطر يومًا بعدد الأيام وإن لم يكن فعل ذلك، وهذا هو صيام نبي الله داود، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذن يُبيِّن لنا أن الصوم جُنة؛ لأنه يُسبب التقوى والهدوء النفسي، وجُنة أيضًا لأنه يُدرِّب الإنسانَ على أن يمتثل إلى كثير من الأوامر، منها: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[٢]، وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جمع بين الصيام وبين التقوى وجمع بين القرآن وبين التقوى وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[٣].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: (٤/ ١٦٠)، بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٤ / ١٦٨)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ كَثْرَةِ الأَكْلِ.

(٣) سورة البقرة الآية: (١٨٣).

وقال تعالى في شأن القرآن: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١] إذن فـ «الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» قال تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٣]، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[٤] حتى إذا بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أي قال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

قوله ﷺ: «وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» كلمة ذِروة بكسر المعجمة وضمها: (ذِروة- ذُروة).

وقوله: ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟».

النبي ﷺ يُعلِّمنا مسؤوليةَ الكلمة، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ ضَمِنَ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ضَمِنْتُ لَهُ

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢).

(٢) سورة المزمل الآية: (٢- ٣- ٤).

(٣) سورة الإسراء الآية: (٧٩).

(٤) سورة السجدة الآية: (١٦).

(٥) سورة السجدة الآية: (١٦، ١٧).

الْجَنَّةَ»[١]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهانا عن اللغو، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٢] ونهانا عن شهادة الزور قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٣] ونهانا عن الكذب فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، أَنَّهُ قَالَ: «قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ: لَا»[٤]. ونهانا عن الغيبة والنميمة والبهتان، ونهانا عن السب والقذف، ونهانا عن أمور كثيرة تتعلق باللِّسان إلا أنه بالنهي عن اللغو أيضًا أمرنا بـألا نَخوض فيما لا يعنينا فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[٥].

❁❁❁

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي: (٣/ ٣٨١).
(٢) سورة المؤمنون الآية: (١- ٢- ٣).
(٣) سورة الفرقان الآية: (٧٢).
(٤) رواه الإمام مالك في موطئه: (٢/ ٩٩٠)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ.
(٥) هذا هو الحديث الثاني عشر من أحاديث هذه الأربعين.



الحَديثُ الثلاثونَ

عن أبي ثعلبةَ الخُشَنيِّ جُرثُوم بن ناشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**»

حديث حسن رواه الدارقطني وغيره.

الشَّرحُ

هذا حديثٌ عظيمٌ مرويٌّ عن أبي ثعلبة الخُشَنِي وخُشَيْنَة قبيلة معروفة من قبائل العرب، وكان اسم أبي ثعلبة جُرثوم بن ناشر، وفي اسمه واسم أبيه -واسم أبيه خاصة- اختلافٌ كثيرٌ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا**» هذه الدائرة الأولى، وهي الفرائض، والفرائض مهمَّة؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل على تركها ذنبًا وإثمًا، فلا بدَّ أنه أرادنا أن نتمسَّك بها، ومن أهم الأشياء لبقاء هُويَّةِ الإسلام في الإنسان الفرائض: الصلاةُ، والصيامُ، والحجُّ، والزكاةُ، وهذه الفرائض مهمَّة؛ لأنَّها تجمعُ بينَ المُسلمين وتجعل ثقافتَهم وأعمالَهم واحدةً، وهي أمور مهمَّة لبقاء الأمَّة ولقُوَّتها وللشعور بالانتماء إليها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا**» ولذلك فإن الله جعل هناك حدًّا للسرقةِ، وجعل هناك حدًّا للزنا، وجعل هناك حدًّا ثانيًا لشرب الخمر، وجعل هناك حدًّا آخرَ للردة عن الإسلام ومخالفة الجماعة والخروج على جماعة المسلمين وتقويض دولتهم، وحدَّ لنا حدًّا على النفس التي حرَّم الله قتلَها إلا بالحق في صورة القصاص بنظامه المتكامل في شريعة الإسلام.

وهي حدود موجودة في الإسلام فلا تعتدوها، وكذلك الحدود تُطلَق على المعالم، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا ألا نقرب النساء في الاعتكاف، فهذا حدٌّ من حدود الله، وأمرنا ألا نعضُلَ النساءَ[١]، وهذا حدٌّ من حدود الله.

وأمرنا ألا نتجاوز ما وضعه من نظام الميراث، فهذا حدٌّ من حدود الله، فلا بد علينا ألا نتعدَّى حدودَ الله فيما أسماه الله حدودًا.

قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا**» حرَّم علينا الكذب، وشهادة الزور، والاغتصاب، والاختلاس، وخيانةَ الأمانةِ، والغدرَ بالعهد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[٢]، فهذه المحرَّمات أمرنا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدم انتهاكها، والأمر المهم في الحديث: «**وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**» قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[٣]، فهذه الآية الكريمة تُبيِّن لنا نظامَ السؤال في الإسلام، ولذلك أمرنا رسول الله أن نتركه ما تركنا فقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ... فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»[٤]، وعلَّمنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة -وأسماها بهذا الاسم حتى نلتفت إلى هذا المعنى- قصة بني إسرائيل مع البقرة، فلو أنهم ذبحوا أيَّ بقرةٍ وامتثلوا الأمر لَمَّا شَدَّد الله

---

(١) عَضلُ الوليِّ، هو منعُ الوليِّ بنتَه مثلا من الزواج لأسباب واهية.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: (١/ ١٦)، بَابُ عَلامَةِ المُنَافِقِ.

(٣) سورة المائدة الآية: (١٠١).

(٤) هذا هو الحديث التاسع من هذه الأربعين.

عليهم، وكُلَّما سأل الإنسانُ كُلَّما فحَّصَ وفتَّش، فإنَّ هذا الفحص والتفتيش ليس من سبيل التقوى، وإنما هو من سبيل التنطُّع.

والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**»[١] وهو ﷺ يأمرنا بقوله: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[٢] يعني أنه يأمرنا بعدم التنطُّع في الدين.

❁❁❁

(١) السنن الكبرى للبيهقي: (٣/ ٢٧)، باب: القصد في العبادة، والجهد في المداومة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢٠٥٥)، بَابُ: هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.

الحَديثُ الحادِي والثلاثونَ

عن أبي العباس سَهْلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ: فَقَالَ ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**» حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

الشَّرحُ

هذا الحديث فيه أمرٌ بالزهدِ في الدنيا، والزهدُ في الدنيا سببٌ من أسباب حُبِّ الله لكَ، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ**» القِسْم الأول، وهو: الزهد في الدنيا يلزم منه أن تكون الدنيا في يدك؛ لأنَّ الزَّاهِدَ فِي الدُّنيا هو مَن امتلكها ولم تدخل قلبَه، أما من لم يمتلك الدنيا، فإن طبائع الأشياء تجعله بعيدًا عنها، إذن لا بُدَّ ألا تدخل الدنيا القلوبَ، ولذلك كان من دعاء الصالحين: «اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا»، هذه قِمَّة الزهد، أن تكون الدنيا في يدك ثم لا تَدْخُل قلبَكَ، ومعنى أنها لا تدخل قلبك أنك لا تفرح بالموجود ولا تحزن على المفقود، فهي أداة، فانظر فِعْلَ الله فيها فإن دامَتْ لك وجب عليك الشكر وأوجب ذلك أن تؤدِّيَ ما عليكَ تجاه الآخرين في هذا المال، وأن يُسلِّطك الله على هذا المال؛ لإنفاقه في وجوه الخير والحق والصدقات ومعونة الناس.

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**» وهذا هو القِسْم الثاني، لا تنظر إلى الناس، ولا إلى ما في أيديهم، ولا تتشوَّف إليهم، ولا تطلبه منهم، ولذلك كان أهل الله يقولون: نحن كالملوك لا نطلب ولا نرفض.

والنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن سـؤال الناس وقال: «**وَإِذَا سَـأَلْتَ فَاسْـأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْـتَعَنْتَ فَاسْـتَعِنْ بِـاللهِ**»[١] ولذلـك فإن الإنسـان ينبغي عليـه أن يزهد فيما عنـد الناس حتـى يُحبَّه الناسُ، فالزهد إذن هو الذي يُسـبِّب حُـبَّ اللهِ لك وحبَّ الناس لك.

❖❖❖

(١) هذا هو الحديث التاسع عشر من هذه الأربعين.

الحَديثُ الثانِي والثلاثونَ

عَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ سَـعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِـنَانٍ الْخُـدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**» حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسـنَدًا، ورواه مالك في الموطأ مرسـلًا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوي بعضُها بعضًا.

الشَّرحُ

هذا حديث أخذ منه الفقهاء قاعدةً وجدوها مطَّردةً في كل الشريعة الإسلاميَّة وجاريـةً في كل أبواب الفقه الإسـلامي، وفقهها هو عدم الأذية، لا تضرَّ نفسَـك، ولا تضـرَّ غيـرَك، حتى صارت قاعدةً مـن القواعد الخمس الكبـار، بل وتفرَّعت عنهـا قواعد أخرى. منها: الضرورات تُبيح المحظـورات، ومنها: ارتكاب أخفِّ الضررَيْـن واجب، ومنها: الضرر لا يُزال بالضَّـرر، ومنها: ما أُبيح للضرورة يُقدَّر بقَدْرِها.. وغير ذلك من القواعد التي نراها مبثوثةً في أمثال كتب الأشباه والنظائر، كالأشباه والنظائر للإمام السيوطي وللتاج السبكي.

ضَـرَرٌ يُـزَالُ وَعَـادَةٌ قَـدْ حُكِّمَتْ ... وَكَـذَا الْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَا

وَالـشَّـكُّ لا تَـرْفَـعْ بِـهِ مُتَيَقَّنًا ... وَخُلُوصُ نِيَّةٍ انْ أَرَدْتَ أُجُورَا

خَمْسٌ مُحَـرَّرَةٌ قَوَاعِدُ مَذْهَبٍ ... لِلشَّافِعِـي بِهَا تَكُونُ بَصِيرَا

قولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا ضَـرَرَ وَلَا ضِـرَارَ**» قولـه: «لَا ضَـرَرَ» في الحديـث ينصرف إلى ضرر النفس. وقوله: «وَلَا ضِـرَارَ» ينصرف إلى الإضرار بالآخرين، وبعضهـم قـال: إن الضرر هو ما كان عن انسيال في الأعمال، فهو ما وقع من غير

تخطيط، والإضرار هو ما كان بخطة وترتيب؛ يعني الضرر يتمُّ من غير ترتيب والضِّرار يتم بترتيبٍ ووضعِ خطةٍ وقصدٍ، وعلى كل حالٍ، فكل هذا حَرام منهيٌّ عنه، ويجب علينا إذا ما حدث أن نُزِيلَه، ويُشترط عند إزالته ألَّا نُزيلَه بضررٍ أكبرَ منه، أو بضررٍ آخرَ مماثلٍ له، ومن هنا بنى الفقهاء كثيرًا من الفروع الفقهية.

فمثلًا عندما يغتصب أحدُهم لوحَ خشبٍ من أجل أن يبني سفينته، ثم أصبحت هذه السفينة باللوح المغصوب فيها في وسط البحر، ونحن نطالبه بالإسراع في ردِّ هذا المغصوب إلى صاحبه، فهل يجوز لنا أن ننزع لوح الخشب مِن السفينة، وهي في وسط البحر؟ لا يجوز حتى تصل إلى الشاطئ؛ لأننا لو نزعناه حينئذٍ لغرقتِ السفينة بما فيها من بضائعَ وبمن فيها مِن البشرِ، وهذا أمر لا يُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لذلك كان هذا الحديث يدخل في كثيرٍ جدًّا من الفروع الفقهية.

❁❁❁

الحَديثُ الثالثُ والثلاثونَ

عَـنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «لَـوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُـمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَـوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَـى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ» حديث حسن، رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين.

الشَّرحُ

قولـه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الْبَيِّنَـةُ عَلَـى الْمُدَّعِـي، وَالْيَمِيـنُ عَلَى مَنْ أَنْكَـرَ» هذا الحديث يعتبر من أُسُسِ أبواب القضاء والشهادات، حيث إنه يُبيِّن أحقيَّة الادِّعاء وطريقـة الإنكار، ولو ادَّعى أناس دعاوى مُسْبَلَة لا دليـل عليها، ولا برهان، ولا شـهادة، ولا وثائق، لادَّعى أقوامٌ أمـوالَ الناس ودماءهم بغير حق، ولذلك فلا بدَّ مـن التوثُّق، ولا مناصَ مـن تدخُّل القضاء، ولذلك فحضارة الإسـلام مبنيَّة على عدل القاضي، حتى قالوا: إن العدل أساس الملك.

إن القاضي في الإسـلام له مكانتُه العظيمـة، ولذلك فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُحـذِّر ويقـول: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَـانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِـي الجَنَّةِ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْـرِ الحَقِّ فَعَلِمَ ذَاكَ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّـارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالحَقِّ فَذَلِـكَ فِي الجَنَّةِ»[1] فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جعل أمته أمَّة قضـاء، ولذلك رأينا الخلفاء الأربعة في منصـب القضاء، ورأينا من التابعين أمثالَ شُـريح القاضي كان ذكيًّا حاضرًا، فـكل صفات القاضي المحترم الجيِّد الذي هو مصدر لسُلْطة القضاء كانت في شُريح، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر القُضاةَ أن يستمعوا للطرفين وأن يحكموا بالعدل.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: (٣/ ٦٠٥)، بَابُ: مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي القَاضِي.

وقد حمل ابن عباس قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1] قال: كُفرٌ دون كفر؛ إذا حكم القاضي بغير العدل، فسمَّى الحُكم بغير العدل كفرًا، ولذلك البيِّنة وهي الشهادة على المدعي أو أن يصل الأمر إلى الإقرار، واليمين على من أنكر.

❁❁❁

(١) سورة المائدة الآية: (٤٤).

الحَديثُ الرابعُ والثلاثونَ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» رواه مسلم.

الشَّرحُ

الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ من أُسس الإسلام، ولذلك فهذا حديث من أسس الإسلام، والمُنكَر قد يكون في دائرةِ سُلطانِي فيكون لي تَغيِيرُه بيدي مباشرةً لا أتراخى ولا أتأخَّر، ولكن إذا كان خارجَ سُلطانِي فقد أستطيع أن أُغيِّرَه، وقد لا أستطيع أن أُغيِّره، فإن لم أستطع فعَلَيَّ بالنصيحة، والدين النصيحة وعليَّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعليَّ استعمال اللسان بالموعظة، أو بالتوجيه، أو بالأمر والحث، فإن لم أستطع حتى هذه وكان هناك من العوائق والعلائق والمواءمات ما يجعلني لا أستطيع أن أنكر ذلك بلساني فعليَّ أن أنكر ذلك بقلبي وهذا أضعف الإيمان، يعني أَقَلُّهُ ثمرةً، ولذلك فهو في المرتبة الدُّنيا، فالإنسان يُغيِّر المنكرَ في بيته، ويُغيِّر بلسانه في محل عملِه مثلًا وفي مسجده، ولكنه إذا لم يستطع ذلك لِأمرٍ عارضٍ ورأى أن الأمر بالمعروف سيسبب ضررًا أبلغَ فإنه لا بد عليه أن يُنكِر بقلبه.

الحَديثُ الخامسُ والثلاثونَ

عـن أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَحَاسَـدُوا، وَلا تَنَاجَشُـوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُـهُ، وَلا يَحْقِرُهُ التَّقْوى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّـرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» رواه مسلم.

الشَّرحُ

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَحَاسَـدُوا**» فالحسـدُ مذمومٌ، والحسدُ حقيقتُه تَمنِّي زوال نعمـة الغير، فهو نوع من أنواع الحِقد غير المبرَّر، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلا تَنَاجَشُوا**» كان بيع النَّجَشِ[1] عندهم في الجاهلية، ونهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النَّجَش، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلا تباغَضُوا**» يعني: لا يسبب البغضُ القطيعةَ بين النـاس، خاصةً إذا كانوا أرحامًا، وقولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلا تَدَابَرُوا**» يعني: يُعطي كلُّ واحدٍ منَّا ظهرَه لأخيه بمعنى عدم التعاون، وعدم التكاتف، وعدم التشـارك، وعدم الود، ووجود الخصام.

والقصـد من هذا الحديث إنشـاءُ المجتمع المسـلم المـتراصِّ المتكاتف، فالمسلم للمسلم كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضًا.

---

(١) قَالَ مَالِكٌ: النَّجْشُ أَنْ تُعْطِيَهُ بِسِلْعَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِهَا وَلَيْسَ فِي نَفْسِكَ شِرَاؤُهَا فَيَقْتَدِي بِكَ غَيْرُكَ. ثُمَّ نُقِلَ عَنِ الْمَازِرِيِّ وَغَيْرِهِ أَنَّ النَّاجِشَ الَّذِي يَزِيدُ فِي سِلْعَةٍ لِيَقْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ: شـرح حدود ابن عرفة للرصَّاع: (١/ ٢٥٨).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ**» وهذه الأخوة تحتم عليه ألا يظلمه ولا يَخذُله بل يكون لأخيه نجدةً، ولا يُكذبه يعني لا يتأخَّر في الوفاء بالعهود ولا يَحقِره، فإنَّ هذا التحقير من شأنه الفُرقة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**التَّقْوَى هَهُنَا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات-**» فالتقوى ليست الأعمال الظاهرةَ بقدر ما هي شيءٌ يُوقَرُ فِي القلبِ، وهي علاقة بين العبد وربِّه، فالتقوى: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، وكلها من أعمال القلوب.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِحَسْبِ**» يعني: بكفاية امرئٍ من الشَّرِّ أن يَحقِر أخاه المسلم، فتحقير المسلم أمرٌ في غايةِ الخطورةِ وهو من جنس الشَّرِّ الذي نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» فلا تجوز الغيبة والنميمة والوقيعة بين الناس.

❁❁❁

الحَديثُ السادسُ والثلاثونَ

عـن أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عن النَّبـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ نَفَّـسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَـةً مِـنْ كُرَبِ الدُّنْيَـا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِـنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّـرَ عَلَى مُعْسِـرٍ، يَسَّـرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَـتَرَ مُسْـلِمًا، سَـتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَـهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَـا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُـونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْـرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رواه مسلم بهذا اللفظ.

الشَّرحُ

هذا حديـثٌ عظيمٌ وجميلٌ، وهو من الأحاديث التي شـاركت في بناءِ ثقافة المسـلمين عبر القرون وبناءِ عقليَّتهم، وحثِّهم على فعل الخير وإنشـاء المجتمع المتكاتف المتراصِّ، وعلى الشعور بِهَمِّ الآخرين.

قولـه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَـةً مِنْ كُرَبِ يَـوْمِ الْقِيَامَةِ»** وهـذا كلامٌ في غاية الرحمة وفي منتهَـى رِقَّة القلب، وهكـذا كان رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وهكـذا علَّمنـا ديننـا، والكربـة هي الشـدة والضيق، فإذا كان المؤمن في غاية الأسَـى والأسـفِ، فإذا به يأتي مَن يلمسه لمسًا حانيًـا، ويُنفِّس عنه كُربتَه، ويُزيل عنه غُمَّتَه، فجزاء ذلك أن يُنَفِّسَ الله عنه كُربةً من كُرَب يوم القيامة.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ**» التيسير على المُعسِر إما بتأجيل دَينه وإما بالتَّنازُل عن ذلك الدَّيْن وإسقاطه جُملةً، ولذلك هذه واحدة مما يكون فيه المندوب أحسنَ من الفرض، فالفرض أفضل دائمًا من المندوب، ولكن ما الواجب بيني وبين المُعسِر؟

﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ**﴾[1] لكنني سوف أتنازل عن دَيْني كله، فهذه نافلة، لكنها نافلة أفضل من الفرض، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**» نحن ننسَى هذا المعنى وقد أصبح الناسُ يَحسُبون حياتَهم بالورقة والقلم، ونسوا كيف يتعاملون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**» وهذا قد نسيه كثيرٌ جدًّا من الناس؛ أنَّ مَن سَتَر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، فتراهم إذا عرفوا ذنبًا وقع فيه أخوهم المسلم أو أختهم المسلمة، أذاعوا به، وهذا أمر من أمور الجاهليَّة لا علاقة له بالإسلام، وحينئذٍ يتعجَّبون! كيف لا نذيع هذا الأمرَ المنكرَ حتى يحذرَهُ الناسُ؟ والحقيقة أنهم كَذَبَةٌ خَوَنَة لا يعلمون أن ستر المسلم في الدنيا فيه ستر في الدنيا والآخرة، وكلُّ ابن آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون، وأن مَن فعَلَ هذا من فضيحة المسلم وإذاعةٍ للذنوبِ، فإنه يريد أن تَشِيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**» هذا الكلام لم يَقُلْهُ أيُّ حكيمٍ ولا نبيٍّ ولا أديبٍ ولا شاعرٍ عبر التاريخ، إنَّ طريق العلم نهايتُه الجنة، وإنَّ مَن سَعى لشراء كتاب أو لحضور مؤتمر أو لعمل بحثٍ علمي أو لنشره بكل وسيلة، فإنه يكون قد سلك طريق الجنة.

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢٨٠).

ومع الفكر لا بد من الذِّكْر فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نزلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**» حَرَّرَنَا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التفاخُر بالآباء والأجداد والقبائل والأحساب والأنساب وجعل الإنسان مع عمله.

❁❁❁

الحَديثُ السابعُ والثلاثونَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف، يقول الإمام النووي: فانظر يا أخي وفَّقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأمَّل هذه الألفاظ، وقوله: (عِنْدَهُ) إشارة إلى الاعتناء بها، وقوله: (كَامِلَةً) للتأكيد وشِدَّة الاعتناء بها، وقال في السيئة التي هَمَّ بها ثم تركها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً فأكَّدها بـ(كَامِلَةً) وإن عَمِلها كتبها سيئةً واحدةً، فأكد تقليلها بـ(وَاحِدَةً) ولم يؤكدها بـ(كَامِلَةً) فلله الحمد والمنة، سبحانه لا نحصي ثناء عليه، وبالله التوفيق.

الشَّرحُ

وهو حديثٌ عظيم يُبيِّنُ عظيمَ لُطفِ الله تعالى بعباده وفضلَه عليهم، ويؤكد هذه العلاقةَ بين العبد وربِّه، فهو يُنظِّم هذه العلاقةَ بين العبد وربِّه، ويُبيِّن مِنَّة اللهِ عليه وفضلَه، والحديث يُذكِّر بأنني إذا همَمْتُ بحسنةٍ كُتِبَت حسنةً، فإذا عمِلتُها كُتبت عشرًا أو سبعَمائة أو أضعافًا كثيرةً بالآلاف أو الملايين، أضعافًا كثيرةً مفتوحةً، وذلك طِبقًا لِلنيَّة، وطبقًا لأهميَّة هذا العمل، وطِبقًا لما نَفَع به الناس، ثم إذا هممتُ بسيئةٍ ولم أفعلها، فإنها تُكتَب حسنةً، فإذا فعلتُها -والعياذ بالله تعالى- فإنها تُكتَب سيئةً واحدةً فقط، ففي جانب الخير يُكْثِر وفي جانب الشر يُحصي

ويُقـلُّ، فهـو الحنَّان وهو المنَّان وهو الرحمن جل جلالـه لا نُحصِي ثناءً عليه هو كمـا أثنَى على نفســه، وإنما يجب علينا أن نُقوِّي علاقتنا بـالله حتى تكون الأمور أكثر وضوحًا.

فإنَّ مَن طَلَبَ الهداية في غير كتاب الله وفي غير سُـنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضلَّ، ومِن ضَلَالِه أنه يعتقد أنه يُحسِن عملَه، ومن مزيد ضلاله أنه يتكبَّر بما وصل إليه من خُرافات لا علاقةَ لها بما يُرضِي اللهَ ولا بما يُرضِي رسـوله ولا بما يرضي المؤمنين.

❁❁❁

الحديث الثامنُ والثلاثونَ

عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَـنْ عَـادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَـيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْـتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَـمْعَهُ الَّذِي يَسْـمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِـشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» رواه البخاري.

الشَّرحُ

قولـه عَزَّوَجَلَّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا» سُـمي الوَلِيُّ وَلِيًّا لأنه يأتي بعد الوَسْـمِي؛ أي قريب منه ويجيء بعده، والوسمي هو: أوَّل المطر، والوَلِيُّ تَالِي المطرِ، ويأتي قريبًا جدًّا، ولذلك فالوَليُّ هو القريب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قوله: قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ» مَن عادى أيَّ شخصٍ هو قريبٌ مني ومحلُّ نظري وفي مَعِيَّتي، فقد آذَنْتُه بالحـربِ والعياذ بـالله تعالـى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1] قوله تعالى: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَـيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» فقد افترض الله علينا أشياءَ هي أحبُّ شيء عنده، ولكن النوافل تأتي بعد ذلك «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَـيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَـمْعَهُ الَّذِي يَسْـمَعُ بِـهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِـرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا» إذن فإن العبـد عندما يحبُّه الله ويكون في مَعيَّة الله بهذه الصفة، فإنه لا يفعل شرًّا أبدًا، وكلُّ ما يفعله يكون مُوَفَّقًا، وهذا التوفيق يكون من عند الله.

---

(١) سورة الحج الآية: (٣٨).

فإن الله يكون بصرَهُ وسمعَهُ ويدَهُ التي يبطش بها ورجلَهُ التي يمشي بها، وحينئذٍ، فإنه إذا سأل اللهَ أعطاه ويكون مستجابَ الدعاء وهذه علامه القُرب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾[2]، إذن إجابة الدعاء تدلُّ على القُرب وعدم إجابة الدعاء لا يدلُّ على الغَضَبِ، فإن الله حكيم يدَّخِر لك الدعاء، إما في الدنيا، وإما في الآخرة، فتُرفع به درجاتُك، وتُغفرُ به ذنوبُك، وتُحطُّ به عنك سيئاتُك، فمن استُجيبت دعواتُه فهو قريبٌ، ومن لم يُستجَبْ له فليس ببعيدٍ، ولكن هو في حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قوله تعالى: «**وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**» إذن هذا هو الحال مع ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

۞۞۞

---

(١) سورة غافر الآية: (٦٠).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٨٦).

الحَديثُ التاسعُ والثلاثونَ

عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

الشَّرحُ

وعليه فإن الإنسان لا يؤاخَذُ عند الله بالخطأ، وإنما يؤاخَذ بالخطيئة، والفَرق بين الخطأ والخطيئة هو القصدُ والعَمْدُ، ولا يؤاخَذُ أيضًا بالنسيان فإنه غَلَبَةٌ، ولا يكون فيه الإنسان قاصدًا، ولا يؤاخَذ بالإكراه، لأنه أيضًا يكون قد فَقَدَ القصدَ، إذن هذا حديثٌ يساوي حديثَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»؛ لأنه قد فَقَدَ القصدَ في كل حالة من هذه الأحوال وهي: (الخطأ، والنسيان، والإكراه).

❁❁❁

الحَديثُ الأربعونَ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**أَخَذَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِمَنْكِبِي، وَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وخذ من صِحَّتك لمرضِك، ومن حياتك لموتك». رواه البخاري.

الشَّرحُ

هذا حديثٌ عظيمٌ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، ولذلك لو أن الإنسان تملَّكَه هذا الشعورُ لم يرتكب معصيةً قطُّ، ولو أن هذا الشعورَ تملَّك الإنسانَ لم يَكنِز الكنوزَ، ولم يتعلَّق بالدنيا، ولم يخَفْ أحدًا من الناس، ولن يسعَى لإرضائهم على حساب الشريعة الغرَّاء، لو أن هذا الشعور تملَّك الإنسان لوصل إلى مرحلة التقوى، وإلى مرتبة المصداقية والصدق، وإلى درجة الشفافية والوضوح مع النفس ومع الناس، وهناك من الأقوال ما يُؤكد هذا المعنى منها مثلا: قال عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: «**احْرِزْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ، كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا**»[1].

وقد فهم الناس هذا المعنَى فُهومًا مختلفةً، فيذهب لبناء العقارات وتأسيس الأسس وما أشبه ذلك، والأمر ليس كذلك، بل إن كل ما في الأمر هو عدم التكالُب على الدنيا، فهَبْ أنك ستعيش أبدًا فما فاتَكَ من فُرصة في الدنيا في هذا اليوم، فإنك ستُحصِّله غدًا أو بعد غدٍ أو بعدَ عامٍ؛ لأنك سوف تعيش أبدًا، ولذلك فعليكَ ألَّا تتكالبَ على الدنيا وألا تعتقدَ، وكأنك سوف تموت غدًا، ولذلك تُريدُ

(١) مسند الحارث: (٢/ ٩٨٣). بَابٌ: كَيْفَ الْعَمَلُ لِلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أن تُحصِّل منها ما تستطيع، أما الآخرة، فاعمل لها كأنك تموت غدًا، فهو حديث يأمر أن نكون في الدنيا كالغرباء أو كعابري السبيل. وهذا سيدنا ابن عمر ينصح مِن أجل تملُّك هذا الشعور له فيقول: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ»، وهذا هو ما كان عليه حال سيدنا عمر بن الخطاب حيث كان يُحاسِب نفسَه بالأنفاس، فلا يدخل نفَسٌ ويأمُل أن يخرج، ولا يخرج نَفَس ويأمُل أن يدخل[1]، ولذلك فهو في حالةٍ دائمةٍ من التعلُّق بالله رب العالمين، والنصيحة الثانية: أن تأخذ من صحتك لمرضك، فكثيرٌ من الناس يؤجِّل الأعمالَ الصالحةَ حتى يكبر في السن، ولكنه عندما يكبر لا يستطيع أن يفعل شيئًا؛ لأن جسدَه لم يَعُد قادرًا على ذلك، كثيرٌ من الناس يؤجِّل فعل الخير وهو غنيٌّ، فإذا ما ضُيِّقَ عليه رزقُهُ، فإنه لا يستطيع أن يفعل ما كان يَوَدُّ أن يفعلَه.

❁❁❁

---

(١) قال سيدي ابن أحمد عاشر في «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» واصفًا حالَ المريد: «يحاسبُ النفْسَ على الأنفاسِ ويزنُ الخاطرَ بالقسطاسِ».

الحَديثُ الحادِي والأربعونَ

عَـنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**» حديث حسـن صحيح، رُوِّيناه فِي كِتابِ الحُجَّةِ بإسنادٍ صَحيحٍ.

الشَّرحُ

هذا حديث صحيح رُوِيَ في كتاب السُّنَّة لأبي بكر بن عاصم وكذلك رواه الحافظ السِّلَفِي في معجم السَّفَرِ، وعزاه الحافظ ابن حجر إلى الحسن بن سفيان، ورجالـه رجـال ثقـات، وصححه النـووي أيضًـا فقـال: رُوِّينَاُه في كتـاب الحجَّة بإسناد صحيح.

قولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُؤْمِـنُ أَحَدُكُـمْ حَتَّـى يَكُـونَ هَـوَاهُ تَبَعًا لِمَـا جِئْتُ بِـهِ**»، فـلا بُدَّ أن تـذوب حُبًّا في رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تصبـحَ رغباتُك هي السُّـنَّة المُشـرَّفَة، وتصبحَ اتجاهاتُك هي أوامرُ رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا هو الإخـلاص، والقـرآن كما بـدأ بالفاتحة والتي فيهـا معاني الالتجاء إلـى الله انتهَى في موضوعـه بسـورة الإخلاص، ثم جـاءت بعد ذلك المعوِّذتـان كالدعاء لله بأن يستجيب مِنَّا هذا الالتجاء إلى هذا الإخلاص، فبدأ بالالتجاء وانتهَى بالإخلاص، ثـم أكَّدَ ذلك بهذا الدعاء، وعندما ذهب إلى ذلك ابن مسـعود ظنَّ الناسُ أنه يُنكر قرآنيَّـة المعوِّذتيـن! والأمر ليس كذلك، فقد نصَّ ابن مسـعود أنَّهمـا من القرآن، ولكنـه يتكلَّم عن موضوع القرآن، وأن آخره هو الإخلاص في سـورة الإخلاص، أمـا المعوِّذتان وهما مِـنَ القرآن كالدعاء لله رب العالمين أن يَحفَظَنا وأن نستـمرَّ فيما أخذناه وتعلَّمناه من الكتاب الكريم.

الحَديثُ الثانِي والأربعونَ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الشَّرحُ

يحملُ هذَا الحديث بِشارةً عظيمةً، وسَعةَ حِلمٍ، وعظيمَ كرمٍ، وما لا يُعدُّ ولا يُحصَى من صُنوف الإحسان وأنواع الفضل والرأفة والرحمة، قوله: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي»؛ معناه: أنَّ الانسان إذا كان في حالةِ استجابة المشاعر وانجذابِ الباطن نحو الملأ الأعلى وخضوع القلب لله مع تعظيم الرجاء فيه، فإن الله يُقبِل عليه بمغفرتِه والصفح عنه، واعلم أن للتوبة ثلاثة شروط:

الأول: الإقلاع عن المعصية.

الثاني: الندم عليها.

الثالث: العزم على ألَّا يعود إليها مرة أخرى.

وهذا إن كانت المعصية في حق الله تعالى، أما إن كانت في حق الخلق، فيزيد على هذه الشروط شرط رابع: وهو ردُّ المظالم إلى أصحابها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا ابْنَ آدمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَني غَفَرْتُ لَكَ**»؛ أي لو تجسَّدَتْ ذنوبُكَ، فملأَتْ ما بين السماء والأرض وهذا نهايةٌ في الكثرة، لكنَّ كَرَمَه وحِلْمَه أوسعُ، فلا يَعظُم مع مغفرتِه ذنبٌ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا ابْنَ آدمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَني بِقُرابِ الأَرْضِ خَطَايا ثُمَّ لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**» أي لو أن الإنسان أقبل على الله بما يقارب وزن الأرض خَطَايَا ثم لَقِيَ اللهَ على الإيمان لا يُشرك به شيئًا، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

فهذا الحديث يُبيِّنُ سَعةَ مغفرةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في غايةِ الرَّحمَةِ، وهو عظيم السَّعة في هذه الرحمة، وهذا آخرُ حديثٍ أورده الإمام النووي في الأربعين، وبه نختم روايةَ هذا الكتاب الجليل.

❁❁❁

سندي لهذا الكتاب[1]

وأسرُدُ لكَ أخي القارئ الكريم فيما هو آتٍ عليك سَنَدي لأحاديثِ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأروي لك المسلسل بالأولية، وأذكرُ سَنَدي في فقه الإمام الشافعي مرورًا بكتب الإمام النووي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله تعالى عن الجميع، فقد دَرَجَ المحدثون والعلماء على رواية حديثٍ يذكرونه أول ما يذكرونه لتلامذتهم ولمن يَتلقَّون عنهم الحديثَ النبويَّ الشريفَ، وَعُرِفَ هذا الحديث ابتداءً من سيدنا سفيان بن عُيينة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وهو من كِبار علماء الأمة- وإلى يومِنا هذا بحديث الأولية، وذلك أنه أول حديث يذكره الشيخ.

---

(١) قال الحافظ المرتضي الزَّبِيدي متحدثًا عن نفسه في ألفية السَّنَد:

وَقَلَّ أَنْ تَرَى كِتَابًا يُعتَمَدُ … إِلَّا وَلِي فِيهِ اتِّصَالٌ بِالسَّنَدِ

أَوْ عَالِمًا إِلَّا وَلِي إِلَيْهِ … وَسَائِطُ تُوقِفُنِي عَلَيْهِ

يُنظر: ألفية السند للمرتضى الزَّبيدي المتوفي سنة ١٢٠٥هـ، ت/ د. محمد بن عزوز، ط دار ابن حزم، ط. الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م.

ومثل ما قاله المرتضى الزَّبيدي في حقِّ نفسه، أقوله في سماحة العلامة الشارح نور الدين علي جمعة.

وحديث الأولية يُروى عنْ عَبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ -وَفِي رِوَايَةٍ: الرَّحْمَنُ تبارَكَ وَتَعَالَى- ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ -بسكون الميم، وَفِي رِوَايَةٍ:- يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ- بِضَمِّ الميم**»[1] وهذا الحديث أُجِيزُ به قارئ هذا الكتاب على الشرط المعتبَر.

والإسنادُ معروفٌ أنه مِن الدِّين، وأنه من مزايا هذه الأمة المباركة، فليس هناك أمَّة قد حافظت على أسانيدها كما وَفَّقَ الله المسلمين في الحفاظ على أسانيدهم[2]، وهذه الأسانيد اشتملتِ القرآن بقراءاتِه المتواترةِ العشرِ، والسُّنَّةَ برواياتِها المختلفةِ، بل وكُتبَ العلماء والدفاترَ أيضًا، ولذلك فإن الإسناد أصبحَ من المنهج العلمي الإسلامي المتميِّز المتفرِّد الذي لم يُوفِّق اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمَّةً قطُّ عبر التاريخ كما وَفَّق المسلمين لذلك.

وأنا أروي عن جُملة من المشايخ منهم: الإمام الأجلُّ والمحدِّثُ المبجَّل سيدنا **عبد الله بنُ الصِّدِّيق الغُمارِي** بما في ثَبَتِهِ: ارتشاف الرحيق من أسانيد ابن الصِّدِّيق، وَثَبَتِ العلامة الشبراوي والمعجم الوجيز، والبحر العميق في مرويات ابن الصديق، وَصِلَةَ الرواة بالفهارس والرواة.

والثلاثة الأخيرة هذه لشقيقه السيد **أحمد بن الصِّدِّيق** رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، ولقد أجازنا شيخنا بالرواية من طريقها.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (٤/ ٢٨٥)، باب: في الرحمة.

(٢) قال السيوطي في ألفيته:

قَدْ خُصَّتِ الأُمَّةُ بِالإِسْنَادِ ... وَهْوَ مِنَ الدِّينِ بِلا تَرْدَادِ

وأيضا نتصل عن طريق شيخنا عبد الله بن الصِّدِّيق الغُمارِي بثَبَتِ الأمير عن المُعمِّر محمد دويدار الكفراوي الذي التقى به شيخُنا في بيته في (تلا)، وهو يروي بالعامَّة عن البرهان الباجوري شيخ الجامع الأزهر، ويروي العلامةُ الباجوري عن شيخه الشيخ محمد الفضالي الذي تخرَّج به، ويروي الفضالي عن السيد محمد الأمير صاحب هذا الثَّبَتِ.

وعن شيخنا أيضًا نروي الإمداد بعلو الإسناد لعبد الله بن سالم البصري عن محمد إمام السَّقَّا، عن والده البرهان السَّقَّا، عن وَليِّ الله ثعْيَلَب الفَشْنِي، عن الشهابين الملَّوي والجوهري، وسُمِّيَا بالشهابين؛ لأن كلًّا منهما اسمه أحمد، وهو أحمد الملَّوي وأحمد الجوهري، وكان مَن اسمه أحمد يُطلق عليه لقب شهاب الدين، عن عبد الله بن سالم البصري صاحب الإمداد بعلوم الإسناد.

وأعلى ما عند شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من الأسانيد رواه عن القاضي عبد الحفيظ الفاسي عن يوسف السويدي، عن العلامة المحدث محمد مرتضى الزبيدي المصري شارح الإحياء وشارح القاموس والمتوفى سنة (١٢٠٥هـ) وهو سندٌ عالٍ بالمرَّة، لا يوجد أعلى منه في الدنيا.

ونروي أيضًا عن العلامة **محمد ياسين الفاداني المكي** وقد زرته بمكة وأخذت عنه، ورويت عنه كلَّ مروياته، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مُسْنِدَ الدنيا إلا أنه كان يروي عن سيدنا الشيخ عبد الله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماري، وقدَّمنا الشيخ عبد الله بن الصِّدِّيق عليه، ولكن كان الشيخ الفاداني وهو في مكة يروي عن أكثر من سبعمائة شيخ.

كذلك نروي عن الشيخ **محمد الحافظ التيجاني** شيخ الطريقة التيجانيَّة، وكان مُشتغِلًا بعلم الحديث بالليل، وظلَّ السنين الطوال يُصلي الفجر بوضوء العشاء، ويكتب الحديثَ النبويَّ الشريفَ بيده، وهو يروي عن المحدِّث السيد عبد الحي الكتَّاني بما في ثَبَتِه المشهور فهرس الفهارس والأثبات.

كذلك أروي عن العلامة السيد **محمد المنتصر الكتَّاني** نزيل مكة المكرمة، وأروي عن العلامة الشيخ **محمد مصطفى أبو العلا الشهير بحامد**، وهو أزهري كان يتولَّى إدارة المعاهد الأزهرية، وهو يروي عن السيد عبد الحي الكتَّاني بما في ثَبَتِه فهرس الفهارس، وأروى أيضًا عن شيخنا **إسماعيل بن عثمان زين اليمني المكي الشافعي** كما في ثَبَتِه صلة الخلف بأسانيد السلف.

وأروي أيضًا عن شيخنا التقي النقي الورع **محمد زكي الدين إبراهيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، عن الشيخ محمد عبد الله العَاقوري الليبي نزيل مصر، عن الشيخ البرهان الباجوري، وكان الشيخ محمد عبد الله العاقوري خادما للشيخ إبراهيم الباجوري ويحمل له كُتُبَهُ.

وأنا أُجيز مَن يطلب الإجازة بهذه الأحاديث والمرويات والطرق التي تُوَصِّلُ إلى المقصود إن شاء الله.

ولقد تفقهتُ على فقه الإمام الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وانتسبتُ إليه حتى عُرِفْتُ بكلمة الشافعي بجزءٍ من اسمي، فأنا أروي فقه السادة الشافعيَّة وقد تفقَّهتُ فيه على جمعٍ من الفقهاء متصلًا بالإمام الشافعي ثم منه إلى مولانا رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي ضِمن ذلك أسانيد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري والإمام النووي.. وغيرهم.

وقد حدَّثني الْعَلَّامَةُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُثْمَانَ زَيْنُ الْيَمَنِيُّ الْمَكِّيُّ الشَّافِعِيُّ، عَنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْأَهْدَلِ، عَنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَهْدَلِ، عَنِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ زَيْنِيِّ دَحْلَانَ، عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ الشَّرْقَاوِيِّ، عَنِ الْأُسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ الْحِفْنِيِّ، عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْخَلِيفِيِّ، عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّطِيفِ الْبَشْبِيشِيِّ، عَنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْحَلَبِيِّ، عَنِ الشَّيْخِ عَلِيٍّ الزِّيَادِيِّ، عَنِ الْمُحَقِّقِ أَحْمَدَ بْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الرَّمْلِيِّ، وَالشَّيْخِ الْخَطِيبِ، كُلِّهِمْ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، عَنْ وَلِيِّ الدِّينِ: أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، عَنْ وَالِدِهِ الزَّيْنِ الْعِرَاقِيِّ، عَنِ السِّرَاجِ الْبُلْقِينِيِّ، عَنِ الْعَلَاءِ ابْنِ الْعَطَّارِ، عَنْ مُحَرِّرِ الْمَذْهَبِ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ، عَنْ كَمَالِ الدِّينِ سَلَّارِ بْنِ الْحَسَنِ الْإِرْبِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو: عُثْمَانَ بْنِ الصَّلَاحِ، عَنْ وَالِدِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُلَقَّبِ بِالصَّلَاحِ، عَنْ أَبِي سَعْدٍ: عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي عَصْرُونَ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِقِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ، عَنِ الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ: طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الطَّبَرِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ: مُحَمَّدِ بْنِ الْمَاسَرْجِسِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيِّ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ: أَحْمَدَ بْنِ سُرَيْجٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ بَشَّارٍ الْأَنْمَاطِيِّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِيِّ، عَنْ إِمَامِ الْأَئِمَّةِ، وَنَاصِرِ السُّنَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَنِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

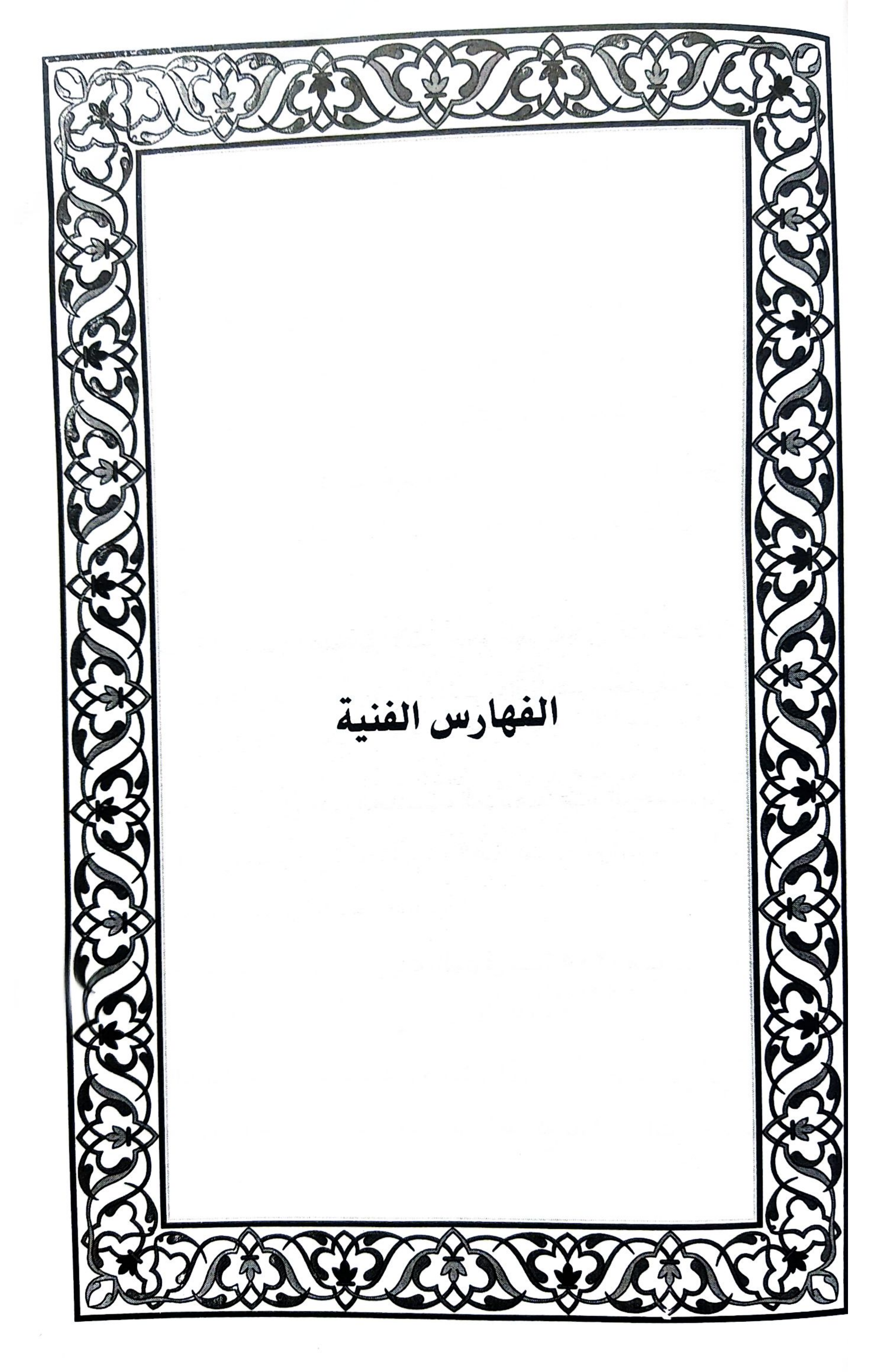
هـذَا وأوصي الطالبَ المُجاز بتقوى اللهِ في السِّـرِّ والعَلَن كما أوصيه بالجِدِّ في طلبِ العلمِ ونَشـرِ السُّـنَّة المُطهَّرةِ، وألا ينساني ومشـايخي من صالح دعائه في الخلوات والجلوات.

وآخِـرُ دعوانـا أنِ الحمـدُ لله رب العالمين وصلِّ اللهم على سـيدنا محمدٍ النبيِّ الأمي، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

نور الدين علي جمعة الشافعي الأزهري

عضو هيئة كبار العلماء





الفهارس الفنية

فهرس المصادر والمراجع

١) **القرآن الكريم**

٢) **أحاديث عفان بن مسلم**، المؤلف: عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي، أبو عثمان الصفار البصري، مولى عزرة بن ثابت الأنصاري (المتوفى: بعد ٢١٩هـ) تحقيق: حمزة أحمد الزين الناشر: دار الحديث- القاهرة.

٣) **الأشباه والنظائر**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٤) **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر العسقلاني: ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٥) **ألفية السيوطي في علم الحديث**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، صححه وشرحه: الأستاذ أحمد محمد شاكر، الناشر: المكتبة العلمية.

٦) **ألفية السند**، المرتضى الزَّبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، ت: د. محمد بن عزوز، ط. دار ابن حزم، الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م.

٧) **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، المؤلف: الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، الناشر: دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني.

٨) **تاريخ دمشق**، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٩) **الجامع**، المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٠) **الجامع الكبير - سنن الترمذي**، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨م.

١١) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة- بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٣) **الزهد الكبير**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦م.

١٤) **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٥) **سنن ابن ماجه**، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٦) **سنن أبي داود**، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

١٧) **السنن الكبرى**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٨) **شعب الإيمان**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٩) **الفتوحات الوهبية بشـرح الأربعين حديثا النووية**، برهان الدين إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي (المتوفى: ١١٠٦هـ)، ط/ الصميعي، الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢٠) **المجتبى من السنن= السـنن الصغرى للنسائي**، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شـعيب بن علي الخراسـاني، النسـائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشـر: مكتب المطبوعات الإسـلامية- حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢١) **المستخرج على الجامع الصحيح للبخاري - مخطوط**، المؤلف: أبو نعيم أحمـد بن عبد الله الأصفهـاني، المتـوفى: ٤٣٠هـ، مصدر المخطـوط: مكتبة عبد القادر الشهير بأمير خواجة الإسكداري بإسطنبول تركيا.

٢٢) **مسـند أبي يعلى**، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسـى بن هـلال التميمي، الموصلـي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشـر: دار المأمون للتراث- دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢٣) **مسـند الإمـام أحمد بـن حنبـل**، المؤلف: أبـو عبـد الله أحمد بـن محمد بـن حنبل بن هلال بن أسـد الشـيباني (المتـوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شـعيب الأرنـؤوط- عـادل مرشـد، وآخرون إشـراف: د. عبـد الله بن عبد المحسـن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢٤) **مسـند البزار المنشـور باسـم البحـر الزخـار**، المؤلف: أبو بكـر أحمد بن عمرو بـن عبـد الخالـق بن خـلاد بـن عبيـد الله العتكـي المعـروف بالبزار، (المتـوفى: ٢٩٢هـ)، المحقـق: محفوظ الرحمـن زين الله، وعادل بن سـعد

وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٢٥) **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

٢٦) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٧) **المعجم الأوسط**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين- القاهرة.

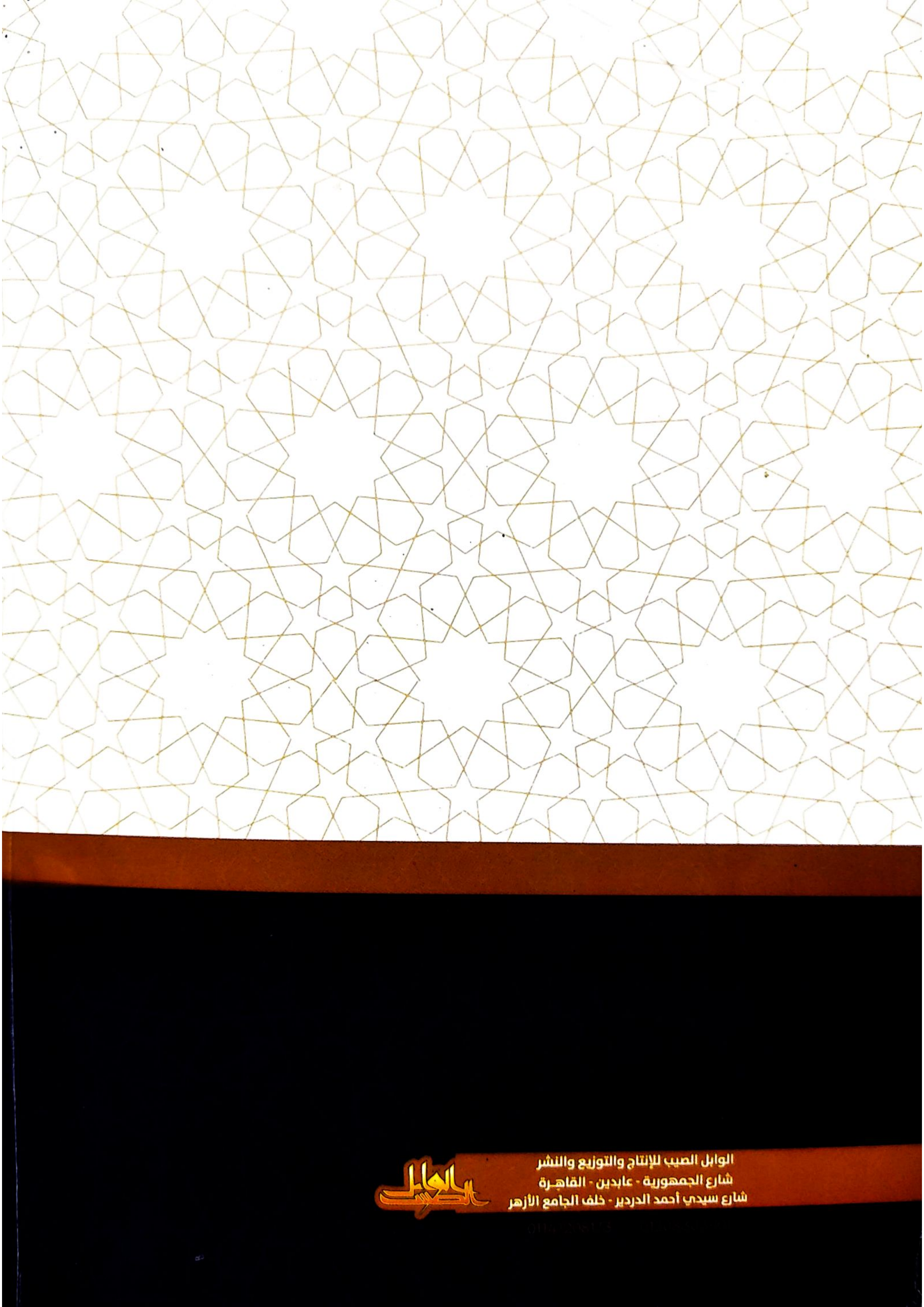
٢٨) **مواهب الجليل**، الحطَّاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ) ط: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٩) **الموطأ**، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية- أبوظبي- الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٣٠) **الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية. (شرح حدود ابن عرفة للرصاع)**، المؤلف: محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي (المتوفى: ٨٩٤هـ)، الناشر: المكتبة العلمية الطبعة: الأولى، ١٣٥٠هـ.

❁❁❁

فهرس الموضوعات


الوابل الصيب
الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
شارع الجمهورية - عابدين - القاهـرة
شارع سيدي أحمد الدردير - خلف الجامع الأزهر